ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ - جمادى الثانية ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '91 N° 157

أمل جديد لمرضى الايدز ٩
قطار الاحلام ١٦
الهدية لغة القلب ٢٣
الصاعقة (قصة من واقع الحياة) ٢٦
اعزف لنا لحن الفرح ٣٣
مقابلة مع هلموت كول ٣٧
احذروا الدجالين ٤٤
مطاعم المحبة ٤٨
صقر الجبل ٥٦
هل تبحث عن ميكانيكي نزيه؟ ٦١
ساحل المرجان ٦٦
مزرعة مجانين ٧٣
مدينة الضباب بالالوان ٧٦
بابار حبيب الصغار ٨٢
عبارات تجترح معجزات ٨٩
جنون المخدرات ٩١
عمل الزوجة مشروع انتحار؟ ٩٨
كتاب الشهر: مغامر في حياة ملكة ١٠٣
طائر على دراجة ٥

صور من الحياة ٣٢ - أصداء
من عالم الطب ٦٠ - دائرة المعارف ٧١

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

جنون المخدرات
(ص ٩١)

قطار الأحلام
(ص ١٦)

أمل لمرضى الايدز والسرطان
(ص ٩)

هلموت كول «صُنع في ألمانيا»
(ص ٣٧)

فندق الشام

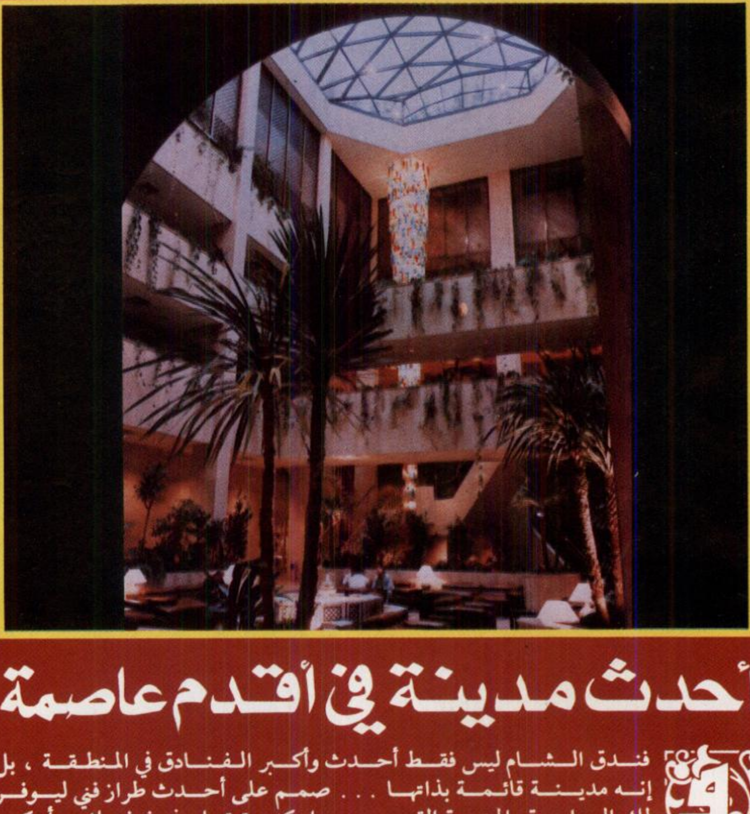

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عمَلك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنسَ المطعم الدوّار المطِل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب**.

مديرة التحرير: **راغدة حداد**. محررة مساعدة: **لورا نفاع**. الاشتراكات: **فريال علاف**.

مدير القسم الفني: **جورج غالي**.

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس**. الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت**.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح**.

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز**.

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان**.

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE**. الهاتف: ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠

الاعلانات: **MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٠١/٣٢٧٤٨٤**

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت**.

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان**.

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت**.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1991 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December '91 N° 157 (New Series) Vol. 14

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كنيث غيلمور**. مدير التحرير: **كريستوفر ولكوكس**. المدير العام: **جورج ف. غرون**.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٩ر – البحرين ٩٠٠ف

السعودية ١٢ر – مصر ١.٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ٩٠٠ ب – قبرص ١ ج

تونس ٧٠٠م – المغرب ٨د – الجزائر ٧د – انكلترا ١ج – اليونان ٢٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢.٥د

اعلان اسماء الفائزين في مسابقة

نعرض

ما يحصل عندما ينتقل هؤلاء السائقون المثيرون

من وراء المقود الى خلف الكاميرا.

من خلال الصور التي تلقينا، اكتشفنا ان هناك كثيرين
من سائقي "مازدا" المثيرين اصبحوا مصورين لـ"مازدا" موهوبين
تهانينا للفائزين الخمسة عشر بالجائزة الاولى وللفائزين الخمسة والاربعين بالجائزة الثانية. وشكر حار
لجميع الذين جعلوا من هذه المسابقة الفوتوغرافية تجربة مثيرة لنا جميعا.

الفائزون بالجائزة الاولى

Ashley de Prazer *(Australia)*

Dr. Peter Randell *(Australia)*

Tony McDonough and Annaliese Frank *(Australia)*

Adolf Blum *(Austria)*

Erik Mathiesen *(Denmark)*

Henning Sørensen *(Denmark)*

Pourelle Marc *(France)*

Reintraut Semmler *(Germany)*

الفائزون بالجائزة الثانية

Bob Ball *(Australia)*
Sue Pingel *(Australia)*
Hecher Hubert *(Austria)*
Jens Ellensohn *(Austria)*
Johann Frank *(Austria)*
König Jürgen *(Austria)*
Michael Schachenhofer *(Austria)*
Rath Elfriede *(Austria)*

Resch Helmut *(Austria)*
Rafael Yip *(Canada)*
Rain Ackerman *(Canada)*
Rob Smith *(Canada)*
William Zierhofer *(Canada)*
Germán A. Jiménez Castro *(Colombia)*
Bo Nielsen *(Denmark)*

Carsten Medom Madsen *(Denmark)*
Jørgen Land Truelsen *(Denmark)*
Vagn Sangill *(Denmark)*
Dingo *(France)*
Guery Marie-Christine *(France)*
Merlot Marcel *(France)*
Burkhard Hillert *(Germany)*

rause Kerstin *(Germany)*
Ling Mo-sze, Monita *(Hong Kong)*
ord Hutchinson *(Ireland)*
John J. Honny *(Ireland)*
Anthony Borg *(Malta)*
Gino Galea *(Malta)*
in Than Shwe *(Myanmar)*

"مازدا" للتصوير للعام ٩٢

Mazda Photo Contest '92

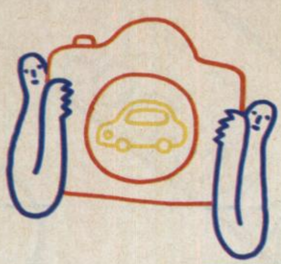

Nick Galante *(USA)*

Nuno Filipe Serrano *(Portugal)*

Sonny Robinson *(USA)*

Damrong Juntawonsup *(Thailand)*

Stephen S. Weygandt *(USA)*

Santi Pangpaibul *(Thailand)*

Joe Livernois *(USA)*

فلنركز على السنة ٩٢.

السنة المقبلة، سنتطلع الى مزيد من الصور المثيرة. اي شخص يستطيع الاشتراك في المسابقة. جهز كاميرتك ووجهها نحو "مازدا"، وصوّر.

Tepchai Ariyabhandhu *(Thailand)*
Werapan Chaikere *(Thailand)*
Süleyman Iskender *(Turkey)*
Cliff Feulner *(USA)*
Jeffrey D. Commer *(USA)*
Jon Steinbring *(USA)*
Seidl Helmut *(USA)*
R S Oulton *(Zimbabwe)*

Mg Mg Hla Tint *(Myanmar)*
Tin Moe Hlaing *(Myanmar)*
John King *(New Zealand)*
Peter Romer *(New Zealand)*
Rocky Roe *(Papua New Guinea)*
Jitapron Kitpermpool *(Thailand)*
Nopawon Tripob *(Thailand)*
Pakdi Atisingha *(Thailand)*

mazda

© Mazda Motor Corporation

برنامج أعمال

And also available
Operating System with Arabic Languages Support
وايضاً متوفر نظام التشغيل مع دعم اللغة العربية

Microsoft® MS-DOS®

ومَن بعَض استخداماته:

- كتابة الرسائل
- تدوين الملاحظات
- متابعة الزبائن
- مطالعة السجلات
- تطوير الميزانيات
- التنبؤات
- حساب دفعات القروض
- حساب الموازنة
- عمل بطاقات بريد
- كتابة التقارير
- التحكم بأشكال الطباعة
- استعمال المخططات
- فرز المعلومات
- اعطاء معلومات مختصرة
- نقل الملفات

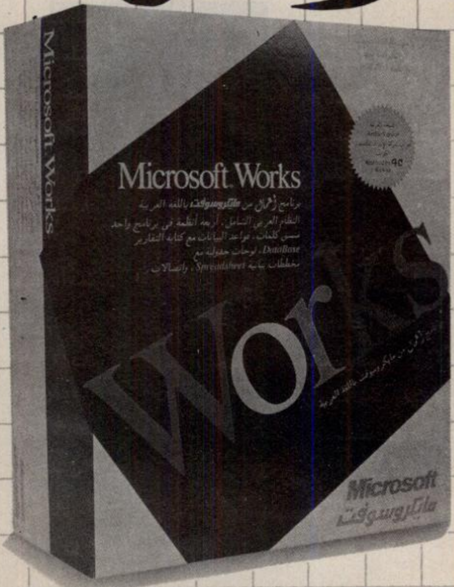

البرنامج العَربيّ المتكامل من مايكروسُوفت

ACT

AUTOMATION AND COMPUTER TECHNOLOGIES
COMMODOR CENTER - HAMRA
Tel: 350349 Telex: 21186

STS.
7th Circle Sha'ban bldg.
Amman - Jordan
Tel: 827611

NSCC
Victoria square
KHOJA bldg. Damascus
Tel: 228555

Microsoft®
مايكروسوفت

طائرٌ على درّاجة

سأحذر ابني الليلة من التحليق قريباً من الشمس

هو الآن في الخامسة من عمره، ويركب دراجة.

أقف في الطريق أراقبه، وأرى القضبان المعدنية داخل الاطارين المطاطيين الازرقين تلتمع في شمس الربيع.

لقد أتقن ركوب الدراجة حديثاً، كفرخ اوز يتعلم الطيران. في اليوم الاول راحت قدماه تديران الدواستين بقوة فيما يداه قابضتان على المقود. تعددت سقطاته، وبكى أحياناً، لكنه كل مرة كان ينهض أشد عزماً وشوقاً الى الدراجة، كأنه برعم خزامى يشق الارض بعناد. وغطت ساقيه رضوض وخدوش أثارت اشفاق أمه حين غسلته مساء. لكنها كانت، بالنسبة اليه، مدعاة اعتزاز وابتهاج وضحك.

في اليوم التالي تعلم الركوب والانطلاق وحيداً من دون حاجة الى إمساكي بالمقعد. وتعلم ايقاف الدراجة حيث يريد النزول. تكررت سقطاته وكثرت

CONDENSED FROM TELEGRAM AND GAZETTE (APRIL 21, '85),
© 1985 BY TELEGRAM AND GAZETTE, WORCESTER, MASS.
ILLUSTRATION: CHRIS NOTARILE

رضوضه ورافقتها دموع وابتسامات وهتافات: "انظروا الي!"

في الصيف الفائت حاول، للمرة الاولى، ركوب دراجة ذات عجلتين، فسقط عنها مرتين. فنبذها وعاد الى الدراجة الثلاثية العجلات قائلاً: "سأركب هذه عندما أبلغ الخامسة."

وفي الشتاء بلغ الخامسة.

وها هو الآن ينهض باكراً ويمضي أيامه مع أترابه متجولين في الحي من فناء الى فناء بين منازل الجيران.

ولن يطول به الامر حتى ينطلق بدراجته الى المحل ليشتري خبزاً لأمه أو لباناً له. أنا أعرف انني سأبتهج بحريته، وأعرف أيضاً أنني أنكمش خوفاً عليه من أخطار الطريق. لقد كان هذا شعور ديدالوس، في الأساطير اليونانية، حين صنع لابنه إيكاروس جناحين من شمع وريش وحذره من التحليق قريباً من الشمس.

ابني يركب دراجة. فما الغرابة في ذلك؟ لا شيء اطلاقاً. بل كل شيء!

أذكر تلك الليلة حين كنا عائدين الى المنزل في ساعة متقدمة، كنت اقود السيارة مصغياً اليه وهو يغني في عتمة المقعد الخلفي. وأذكر يوم شاهد أعشاباً مزهرة في الجدول قرب منزلنا فناداني وقد علت الدهشة وجهه.

تلك كانت لحظات حميمة، خاصة بنا وحدنا. ولكل الآباء والابناء ذكرياتهم ولحظاتهم معاً. لكن الأب الذي لا يتذكر لحظة ركوب ابنه دراجة للمرة الاولى، فاتته ذكرى تنطبع في النفس الى الأبد.

وقفت في الشارع كأنني أمثل جميع الآباء السابقين واللاحقين. أعرف أن أبي وقف قبلي هناك، في زمان آخر ومكان آخر، وداخله الشعور ذاته الذي غمرني. كذلك فعل أصدقائي مع أولادهم الذين كبروا الآن، وكذلك سيشعر أصدقائي مع أولادهم الصغار.

وأغمض عيني في هواء المساء المنعش، فأعود الى طفولتي وأراني راكباً دراجتي الحمراء، متخيلا نفسي هندياً أحمر يركب حصاناً ويطارد الجواميس في السهول الامريكية الرحبة، أو شرطياً يمتطي دراجة نارية. وأعود ولداً.

سأحذر ابني الليلة من الاقتراب كثيراً من الشمس.

لكنه لن يصغي الي.

هو الآن في الخامسة من عمره، ويركب دراجة.

بول ديلا فالي ■

طبيب بوليسي

اندفعت الممرضة داخل العيادة وصاحت: "عفواً يا دكتور، لكن الرجل الذي عالجته الآن انهار على عتبة الباب اثناء خروجه وفارق الحياة!" فعاجلها الطبيب: "أديريه في اتجاه معاكس لكي يبدو كأنه انهار أثناء دخوله!"

ج.ر.

موسوعة الدّحداح في علم العربيّة

- معجم قواعد اللّغة العربيّة في جداول ولوحات
- معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ - فرنسيّ) (فرنسيّ - عربيّ)
- معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ - إنكليزيّ) (إنكليزيّ - عربيّ)
- معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ - عربيّ)
- معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ - فرنسيّ)
- معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ - إنكليزيّ)
- معجم تصريف الأفعال العربيّة
- معجم تصريف الأفعال العربيّة (الوسيط) - يصدر قريبًا -
- معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ - عربيّ)
- معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ - إنكليزيّ) - يصدر قريبًا -
- معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ - فرنسيّ) - يصدر قريبًا -
- معجم لغة النّحو العربيّ (الوجيز) - يصدر قريبًا -

السّفير
أنطوان الدّحداح

مكتبة لبنان

تباع في جميع المكتبات

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً

RMC

راديو مونت كارلو

موعدكم الصيفي مع اذاعة مونت كارلو في جنوب فرنسا

على موجة متوسطة ٢٠٥م (أي ١٤٦٧ كيلو هيرتز)

LINKS

36, RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE - TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 - TÉLEX 648730 LINKS F - TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١
جمادى الثانية ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

تقرير خاص

أمل جديد لمرضى الايدز والقلب والسّرطان

كشف طبي مذهل يَعِد بشفاء أكيد من الايدز والسرطان وأمراض القلب وعلل فتاكة أخرى

جلست طفلة في الرابعة من عمرها على حافة سرير في المركز الطبي التابع لمؤسسات الصحة الوطنية في مدينة بيتسدا بولاية ميريلاند. في ذلك النهار، ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠، كانت الطفلة تدرك، على رغم عمرها الغض، ان أمراً خطِراً على وشك الحدوث. وكان والداها ينتظران الى جانبها بقلق.

وفي الساعة ١٢،٥٢ بعد الظهر بدأ محلول رمادي يقطر في وريد في ذراعها اليسرى. وكان المحلول يحتوي على كريات بيضاء من دم الطفلة الذي عُدِّل ليتضمن نسخاً سليمة من جينة (مورثة) معطوبة ورثتها.

استغرقت العملية ٢٨ دقيقة فقط، لكنها سجلت بداية تجربة عميقة الاثر في تاريخ الطب. لقد أصبحت هذه الطفلة أول مريضة في العالم تتلقى علاجاً للجينات.[١]

تتحكم الجينات بكل السمات الجسدية التي نرثها، وذلك باعطاء خلايا الجسم تعليمات لانتاج انواع محددة من

(١) Gene therapy

البروتيينات. في حال هذه الطفلة، منعت جينة معطوبة جسمَها من انتاج خميرة (أنزيم) أدينوسين دياميناز (ADA)[٢] مما أعاق مقاومتها للامراض وجعلها تعاني، منذ ولادتها، التهابات وأمراضاً شبه مستديمة.

قبل عشرة أيام من عملية نقل الدم استخدم الاطباء فرنش أندرسون ومايكل بلايز وكينيث كولفر فيروساً مخمَّداً وسيلة لنقل جينات ADA الطبيعية الى الكريات البيضاء في دم الطفلة، آملين أن يبدأ نحو مليار من الخلايا المهندسة جينيا انتاج الخميرة الحاسمة.

وما زالت الطفلة تخضع للعلاج الجيني بنقل الدم، وقد أكدت الاختبارات اللاحقة أن جسمها ينتج مقداراً وافراً من الـADA للمرة الاولى. وهي لم تعانِ، منذ بدء المعالجة، إلا اصابات زكام خفيفة.

والعلاج الجيني هو الخطوة الأحدث في فرع ثوري من العلوم الطبية يدعى "علم الوراثة الجزيئي."[٣] بدأ هذا العلم، مقروناً بتكنولوجيات فاعلة جرى تطويرها منذ منتصف السبعينات، كشف أكثر أسرار البيولوجيا البشرية غموضاً، محققاً تقدماً شبه يومي في مجالات الوقاية من الأمراض الفتاكة وسبل تشخيصها ومعالجتها والشفاء منها.

أذهل حجم هذه الاكتشافات وسرعتها العلماء أنفسهم. يقول الدكتور ليروي هود أحد أبرز الاختصاصيين بعلم الوراثة: "سوف تُحدث الثورة القائمة في علم الوراثة تغييرات في عالم الطب خلال السنوات العشرين المقبلة تفوق تلك الحاصلة خلال السنوات الالفين الماضية."

ان أقصى ما يثير الباحثين الطبيين هو امكان تسخير الجسم البشري لانتاج عقاراته الشافية ذاتياً. ويفترض أندرسون، الطبيب في مؤسسات الصحة الوطنية الذي أتاحت رؤياه حصول تجربة الـ ADA في حال الطفلة، أن العلم سيتمكن من إيصال العقاقير بشكل خلايا مهندسة جينياً الى حيث تدعو الحاجة. يقول: "لن تخفف هذه الطريقة من وطأة المرض فحسب، بل ستؤدي الى الشفاء في كثير من الحالات."

جينات وكروموزومات. كان العلماء قبل ٤٠ سنة يسعون الى جواب عن تساؤل أساسي: ما هي الجينة؟

لقد أدركوا، قبل زمن طويل، أن الجينات موجودة، كما فهموا ضمناً أنماط انتقال الصفات بالوراثة. لكن أحداً لم يعرف كيف تبدو الجينة أو كيف تنحو. فالتزم جلاء الموضوع عالمُ أحياء أمريكي شاب، متوقد الذكاء، اسمه جايمس واتسون.

في مختبر كافنديش في كامبريدج ببريطانيا، وحَّد واتسون جهوده مع باحث آخر يضاهيه ذكاء اسمه فرنسيس كريك وعمره ٣٥ عاماً. وفي أوائل ١٩٥٣ تمكن الاثنان من إماطة اللثام عن تركيبة

(٢) Adenosine deaminase
(٣) Molecular genetics

الحمض النووي DNA[٤] المكوِّن للجينات. فمهّد هذا الاكتشاف الطريق لعلم الوراثة الحديث. كان واتسون آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره.

جايمس واتسون اليوم في الثالثة والستين وقد خط الشيب شعره الخفيف، وهو يساهم في ادارة أكبر مجهود بشري في مجال أبحاث الجينات.

أُطلق "مشروع مسح العوامل الوراثية البشرية"[٥] رسمياً في الاول من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ وهدفه رسم مخطط لكل جينة بشرية، من تلك التي تحدد لون العين الى تلك التي تسبب المرض.

تضاهي تدللعات هذا المشروع تلك التي رافقت انجاز واتسون وكريك اللذين أظهر اكتشافهما أن حمض DNA هو سلسلة مزدوجة محكمة الالتفاف تتألف من أربعة عناصر مترابطة منتظمة في تعاقب محدد وتدعى أزواج القاعدة[٦]. وقد تتضمن الجينة الواحدة ملايين من أزواج القاعدة هذه.

ويعتقد العلماء اليوم أن عدد الجينات في الجسم البشري يراوح بين ٥٠ ألفا و١٠٠ ألف تندرج في ٤٦ كروموزوما.[٧] والكـرومـوزوم، أو الصبغي، جسيم يسروعي الشكل لا يتجاوز طوله ٢٥ جزءاً من مليون من المليمتر. وهناك مجموعة كاملة من هذه الكروموزومات داخل نواة كل خلية بشرية.

توجِّه الجينات نمو الجسم وحياته. لكن الجسم البشري يتسم بانضباط دقيق بحيث قد يؤدي تشوش في أي زوج قاعدي الى اختلالات مميتة.

لقد عرف العلماء منذ زمن أن جينة معطوبة واحدة تسبب تليّفاً كييسياً.[٨] أما الجديد فهو أن أمراض القلب والسرطان والاختلالات الرئيسية الاخرى تنشأ عن خلل في جينتين أو ثلاث جينات، أو أكثر، الأمر الذي يساعد في تفسير اصابة عائلات بهذه الأمراض التي تبدو "غير وراثية."

ويعتقد العلماء أن الجينات المرتبطة بهذه الامراض تجعل الجسم قابلا للاعتلال، فحسب، بحيث أن المرض قد لا يصيب المرء ما لم يحفزه عامل بيئي مؤذ. لذلك قد لا يصاب الشخص المهيأ جينياً بسرطان الرئة، مثلا، الا اذا تعاطى التدخين.

والى سرطان الرئة، نُسبت "جينات الامراض" الى سرطاني القولون والثدي وداء ألزهايمر[٩] والانسداد التاجي وانتفاخ الـرئة وتصلب الانسجـة المضاعَف والسكري. كما اكتشفت أخيراً جينة تسبب ضرباً متفشيـاً من التخلف العقلي.[١٠] ويعتقد العلماء أن لكـل الامراض مكونات جينية. ويهتم "مشروع مسح العوامل الوراثية البشرية" بتحديد الجينات "المتهمة" بتسبيب الامراض،

---

(٤) Deoxyribonuckic acid
(٥) Human Genome Project
(٦) Base pairs
(٧) Chromosomes
(٨) Cystic fibrosis
(٩) Alzheimer's disease
(١٠) Fragile X syndrome

كما سيفتح آفاقاً جديدة في مجالي التشخيص والمعالجة.

في هذه الأثناء، أتاحت الهندسة الجينية انتاج الانسولين البشري ولقاح لالتهاب الكبد ولقاحات للانفلونزا وهرمون النمو البشري وجسم مضاد يساعد في منع نبذ الجسم كلية مزروعة. وقد تتوافر قريباً علاجات جينية لمرض النزف الوراثي وبعض أنواع السرطان.

كاسحات أمراض. جستين وجايسون كانو توأمان متشابهان ولدا في ٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٢. وكانا يمارسان كل نشاطاتهما معاً، من ألعاب الفيديو الى تلوين الرسوم. ولكن حين التحقا بروضة الاطفال كان جستين تأخر عن شقيقه في النمو. فظنت الام بادىء الامر أن جستين يفتقر الى التناسق أو أنه كسول، وأخبرها الطبيب أنه طفل بطيء النمو.

وقبل عامين، أثبتت نتائج الفحوص أسوأ الاحتمالات، اذ تبين أن جستين يعاني ضموراً عضلياً من نوع "دوشين"[١١] وهو انحلال عضلي فاتك. لو كان جستين من مواليد ١٩٧٣، بدلا من ١٩٨٢، لكان أمله في الشفاء معدوماً، اذ لم يعرف العلماء آنذاك أياً من البروتيينات العضلية الكثيرة هو المرتبط بالضمور العضلي. لكن الباحثين في علم الوراثة في مستشفى بوسطن للاطفال استطاعوا عام ١٩٨٧ تحديد هذا البروتيين المراوغ، وأطلقوا عليه اسم ديستروفين. أُدخل جستين وجايسون مستشفى الاطفال في سان فرنسيسكو أوائل العام ١٩٩١. وهناك استأصل الاطباء ثلاث قطع صغيرة من العضل من الذراع اليسرى في التوأم السليم، وزرعوها في محلول استنبات خاص، فبدأت أنسجة جايسون السليمة انتاج خلايا تحتوي على ملايين النسخ من الجينة التي تصنع الديستروفين. وفي أبريل (نيسان) ١٩٩١ حُقن جستين خلايا جايسون. واذا سارت الامور حسناً، فستلتحم الخلايا السليمة المنتجة للديستروفين بخلايا جستين المريضة، وتنتج أليافاً عضلية جديدة تعكس عملية الانحلال العضلي. واذا نجحت هذه الطريقة، فلن تفيد الاطفال المصابين بالانحلال العضلي وحدهم، بل كذلك ملايين الناس الذين يعانون أحد ٤٠ نوعاً من الاختلالات العصبية - العضلية بما فيها الوهن العضلي والتصلب الجانبي الضموري العضلي.[١٢]

كما قد تتوافر في المستقبل القريب معالجات جينية لأمراض قاتلة أخرى:

أمراض الشريان التاجي. يصاب ألوف الناس بذبحات ونوبات قلبية لافتقار خلاياهم الكبدية الى متقبِّلات[١٣] وافية لتنقية أجهزة الجسم من فائض البروتيينات الدهنية المتدنية الكثافة «LDL»[١٤] وهي شكل مؤذ من الكولسترول.

---

(١١) Duchenne muscular dystrophy

(١٢) Myasthenia gravis and amyotrophic lateral sclerosis

(١٣) Receptors

(١٤) Low-density lipoproteins

اكتشف الباحثون جينة LDL المتقبِّلة عام ١٩٨٣. واليوم تحاول مختبرات أمريكية عدة تطوير علاج جيني لأناس يعانون هذا الخلل. وسيجرى أول اختبار بشري لهذا العلاج الجيني على أطفال مصابين منذ الولادة بأخطر أشكال هذا المرض، ومعظمهم يتعرض لنوبات قلبية مميتة قبل سن البلوغ.

التصلب الكُيَيْسي. في العام ١٩٨٩ اكتشفت فرق أبحاث في جامعة ميشيغان ومستشفى الاطفال المرضى في تورونتو، الجينة المسؤولة عن التصلب الكُيَيْسي، أحد أكثر الامراض الجينية فتكاً بالاحداث والشباب. يصيب هذا المرض سنوياً ٣٠ ألف ضحية لا يتجاوز متوسط أعمارها ٢٦ عاماً. ويؤدي الخلل الجيني الاساسي الى مضاعفات عدة، منها افراز مادة مخاطية كثيفة تسد المجاري الرئوية وتسبب التهابات مزمنة.

تعتمد احدى طرق العلاج بروتييناً هُندِسَ جينياً ويدعى «Dnase.» وقد اختُبر هذا البروتيين، الذي يتيح ترقيق المادة المخاطية، على ١٢ مريضاً عام ١٩٩٠. كما نجح فريق من الباحثين بقيادة الدكتور رونالد كريستال من مؤسسات الصحة الوطنية، في ادخاله مباشرة الى الشُعب الهوائية في شكل عقار رذاذي (سبراي). فتمكن المرضى اذذاك من التنفس بيسر. واليوم يخضع الـ Dnase لدراسة أشمل.

لا يعتبر Dnase علاجاً. ولكن يلوح في الافق علاج آخر. ففي خريف ١٩٩٠ تمكن باحثون، في مستنبتات مخبرية، من تصحيح الخلل الجيني المسبب للتصلب الكُيَيْسي. يقول روبرت ج. بيول مدير الشؤون الطبية والعلمية في "مؤسسة التصلب الكُيَيْسي": "نتوقع أن يتمكن الاطفال المصابون بهذا المرض **القاتل** من العيش عمراً طبيعياً في خلال سنوات قليلة مقبلة."

الايدز. يعرف الباحثون الآن أن فيروس قصور المناعة HIV[١٥] يدخل كريات الدم البيضاء عبر متقبِّل يدعى CD4. لذلك فإن سدّ نقطة دخول الفيروس سيوقف الايدز نهائياً.

وتتضمن احدى المحاولات الواعدة هندسة كرة دم بيضاء، جينياً، باستخدام متقبِّل CD4 طعماً. فاذا ما "خُدع" فيروس قصور المناعة والتصق بالطعم، فسوف يطفو في مجرى الدم من دون أن يسبب أذى. وقد بدأت مؤسسات الصحة الوطنية اختبار العلاج على حيوانات في ربيع ١٩٩١، واذا ثبت أنه مأمون فقد يصار الى اختباره بشرياً في مطلع ١٩٩٢.

الورم القتامي الخبيث.[١٦] في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، جرب باحثون في مؤسسات الصحة الوطنية علاجاً جديداً لسرطان الجلد المميت هذا. وقد شملت

(١٥) Human immuno-deficiency virus
(١٦) Malignant melanoma

التجربة امرأة في التاسعة والعشرين ورجلا في الثالثة والاربعين لم يبق لهما أمل بالحياة الا أشهراً ما لم يوقف امتداد السرطان.

هاجم الباحثون الورم الخبيث بواسطة عامل نخر الاورام TNF[١٧] وهو بروتيين قوي مضاد للسرطان تنتجه جينة متوافرة في كل الخلايا البشرية. لكن الصعوبة تكمن في عاملين، أولهما أن الجسم البشري لا ينتج من الـTNF كمية تكفي لتدمير الأورام، وثانيهما أن الـTNF يصبح ساماً إذا أعطي بكثافة.

لذلك ابتكر الدكتور ستيفن روزنبرغ، من مؤسسات الصحة الوطنية، طريقة لايصال بروتيين TNF مباشرة الى الورم من دون اغراق الجهاز الدموي بالمادة السامة. فبدأ ادخال جينات TNF على عيِّنات من الخلايا وضعت في أنابيب اختبار. ثم اعاد هذه الخلايا المهندسة جينياً الى جسمي المريضين.

فاذا سارت الامور وفق الخطة المرسومة، فستنتج الجينات ما يكفي من الـTNF لتدمير الورم، وستوصله الى الورم وحده وليس الى خلايا الجسم الاخرى. يقول روزنبرغ: "اذا نجحت طريقة المداواة هذه، فانها ستشكل بداية علاج قوي وجديد لانواع أخرى من الاورام الخبيثة تشمل سرطاني الثدي والقولون."

آمال ومخاوف. أمضى بيلي هايز معظم حياته في ظل غمامة جينية. كان خاله وخالته وجده لامه مصابين بمرض هنتينغتون.[١٨] لكن هايز واخوته لم يتقبلوا فكرة أن تكون والدتهم تعاني المصير ذاته عندما بدأت تتعرض لنوبات من الشك والارتياب الجنوني. وأبلغ اليهم الاطباء أنها تعاني اضطرابات عقلية. ولكن، مع تفاقم حالها، لم يبق مجال للريبة.

يهاجم مرض هنتينغتون العنيف الجهاز العصبي ويؤدي في النهاية الى الوفاة. ويكفي أن يحمل احد الوالدين جينة المرض حتى تنتقل الى الاطفال، واحتمال وراثة الاطفال المرض هو ٥٠ في المئة. ويعيش المصابون حياة عادية حتى ظهور الاعراض في منتصف العمر. وفي العام ١٩٨٣ وجد الباحثون علامة في DNA الكروموزوم الرقم ٤ تدل على الاصابة بمرض هنتينغتون، فطوّروا لذلك اختباراً يمكن أن يحدد، بدقة تصل الى ٩٩ في المئة، ما اذا كان الشخص مصاباً بهذا الخلل الفتاك.

أراد هايز، وقد بلغ السادسة والثلاثين، أن يعرف مصيره. يقول: "لم أعد أطيق متابعة حياتي متسائلا، كلما تعثرت في طريقي، عما اذا كانت العثرة احدى أعراض هنتينغتون."

تصاعد توتر هايز طوال شتاء ١٩٨٨ — ١٩٨٩ وهو قابع ينتظر اكتمال سلسلة الاختبارات الطويلة. أخيراً في يوم ماطر

(١٧) Tumor necrosis factor

(١٨) Huntington's disease مرض ترافقه اختلاجات تشنجية، يصيب المرضى وهم في منتصف العمر بضعف عقلي تصاعدي وبفقدان السيطرة على العواطف.

من أواخر أبريل (نيسان)، أبلغ أطباء في مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور الى هايز أن نتائج الاختبار جاءت سلبية. فأمسك وجهه بين يديه وأطلق زفرة ارتياح عميقة.

غيَّرت نتيجة الاختبار حياة هايز، فتزوج بعد سنة موظفة في جونز هوبكنز. وفي أبريل (نيسان) ١٩٩١ رزقا صبياً صحيح الجسم. يقول هايز: "لم أكن لانجب طفلا لو عرفت أني أحمل جينة هنتينغتون، أو كنت غير واثق من أمري."

قبل سنوات، كان أقصى ما يقدمه المستشارون الطبيون الى الازواج الذين لهم تاريخ عائلي من الامراض الوراثية، هو أرجحية انجاب طفل مصاب. أما اليوم فهناك نحو عشرة اختبارات مضمونة النتائج تشمل التصلّب الكُيَيْسي وداء تاي - ساكس[١٩] وفقر الدم المنجلي[٢٠] ومتلازمة داون[٢١] وضمور دوشين.

ويبقى الوعد الذي تحمله الأبحاث الجينية براقاً، ولكن قد يكون لها أيضاً جانب مظلم، اذ يعتقد بعض الخبراء أن الافراد الذين تثبت اصابتهم بجينة مختلّة قد يتحولون ضحايا "تمييز جيني." يقول الدكتور بول بيلنغز الاختصاصي بالطب الوراثي: "متى تكشفت معلومات عن اصابة شخص ما بداء جيني، فلن يبقى سبيل الى وقف انتشارها."

قد يكون أحد الحلول اصدار قوانين أكثر حزماً لصون سرِّية المرضى. ولربما كانت التوعية هي الوسيلة الأنجع. يقول الباحث تشارلز كانتور من مختبر لورنس بركلي في كاليفورنيا: "لقد أخفقنا في ابلاغ الناس ماهية الابحاث الجينية، وتنتظرنا مهمة جُلّى."

إلا أن المستقبل يبدو، بالنسبة الى كانتور، حافلا بالوعود اكثر منه بالصعوبات، لأن "ما ستعود به الأبحاث الجينية من فوائد لا تصدق على البشرية جمعاء، سيفوق كثيراً ما قد يتأتى عنها من أذى."

جون بيكانن ■

(١٩) Tay-Sachs disease
(٢٠) Sickle-cell anemia
(٢١) Down syndrome

حجة لا تُرد

عملت في برنامج المكوك الفضائي مسؤولا عن طلب بضائع وتأمينها. فطلب مني أحد المهندسين تزويده قاموساً جديداً. فسألته عن سبب رغبته في القاموس، متوقعاً أن يتحفني بجواب من نوع: "لقد فقدتُ نسختي القديمة" أو "لقد تمزّق الغلاف."

لكنه أجابني: "ان الطبعة التي لديّ تذكر أن المركبة الفضائية طائرة وهمية لا وجود لها."

فحصل على مراده.

د.ر.

قطار الأحلام

لا تزال هذه الدمى المثيرة تبهج الصغار والكبار

انتج هذا القطار
عام ١٩٧٨
نقلا عن أصل الماني.
وأُحدث صوتا
العادم والصفارة
الكترونياً للمرة الاولى.

العاشرة والنصف صباح ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٩ احتشد نحو ٨٠٠ شخص في قاعة مبيعات في مؤسسة "كريستي" في لندن يرقبون افتتاح المزاد على مجموعة الكونت أنطونيو جانسانتي – كولوتسي من اللعب ونماذج القطارات البالغ عددها ٣٠٠٠. وقد نُظمت هذه المجموعة النادرة، التي ضمت قطعاً من بداية القرن العشرين بينها قطارات ساعيَّة[١] وقاطرات بخارية تعمل بالطاقة الناتجة من مرجل كحولي، في قاعة حُوِّلت لتُماثل محطة سكك حديد من القرن التاسع عشر تزيّنها لوحة زيتية عملاقة لقطار مترف من طراز "غولدن آرو."[٢]

وكولوتسي رجل أعمال إيطالي في الرابعة والسبعين من عمره، افتتن بالقطارات منذ كان في الثامنة. وهذه المرة الاولى تطرح في السوق مجموعة بهذا التنوع والنوعية.

(١) Clockwork trains. وتشتمل آليّتها على مجموعة دواليب صغيرة.

(٢) Golden Arrow

MÄRKLIN MAGAZIN

احتدمت المزايدات ووصلت أسعار بعض القطع الى أرقام قياسية، منها ١١ ألف جنيه استرليني (نحو ٢٠ ألف دولار) لقاطرة من طراز "٢٢٠ كوب - فان"[٣] و١٢ ألف جنيه (نحو ٢١ ألف دولار) لمحرك من طراز «231 PLM» و٢٩٧٠٠ جنيه (نحو ٥٣ ألف دولار) لقاطرة بخارية نابضة كانت عائلة فرتمبرغ أوصت بصنعها في العام ١٩١٢. ويجمع بين هذه النماذج الرائعة عنصر مشترك واحد هو صنعها في ألمانيا لدى شركة "ماركلين" صانعة القطارات الدُمى، الاقدم والاعظم والأدق في العالم. وقد دعيت منتجاتها "ملوك القطارات وقطارات الملوك" لما اتصفت به من صُنعة ودقة مذهلتين. يقول كلايف لامينغ أحد كبار خبراء نماذج القطارات في أوروبا: "لا تحتاج قطارات ماركلين الى صيانة أبداً، وعلى من يرغب في تحطيمها أن يرميها من نافذة."

عندما تلتقط واحداً من قطارات "ماركلين" تكون كمن أمسك قطعة من التاريخ بين يديه. كما تجد كل التفاصيل والملامح التقنية للسكك الحديد الحقيقية وقد أعيد بناؤها باخلاص في نماذج "ماركلين." من الامثلة الشهيرة "قطار زبلن" السيجاري الشكل الذي سجل عام ١٩٣١ رقماً قياسياً للسرعة بلغ ٢٣٠ كيلومتراً في الساعة. وفي العام التالي سيَّرت "ماركلين" على سككها نماذج مطابقة لهذا القطار. فغدا قطار زبلن الفضي واحداً من المنتجات الكلاسيكية للشركة.

للصغار والكبار. لم يحلم ثيودور فريدريك فيلم ماركلين أن الشركة التي تصنع ألعاباً من ألواح تنك والتي انشأها في بلدة غوبنغن في جنوب ألمانيا عام ١٨٥٩ ستطلق شرارة افتتان بنماذج القطارات. ولما توفي ثيودور بعد سبع سنوات، أدارت زوجته كارولين الشركة حتى العام ١٨٨٨ حين تسلم ولداها يوجين وكارل الادارة وهما في العشرينات من عمرهما. وسرعان ما راحا يصنعان دمى قطارات بعدما استوحيا الفكرة من اقبال الناس على السكك الحديد التي بدأ العمل بها في ألمانيا عام ١٨٣٥.

أظهر الاخوان، منذ البداية، موهبة في الابتكار. فقدَّما في معرض ليبزغ عام

(٣) 220 Coupe-Vent

COURTESY OF MÄRKLIN & CIE

١٨٩١ أول قطار - دمية في العالم له سكَّة مطابقة لمقاييس موحدة. وقد صُمم هذا النموذج لسكك عرضها ٤٥ مليمتراً تعرف بالمقياس الرقم ١[٤] وبنسَق يمكن تبديله وتكبيره قطعة قطعة. كانت فكرة ثورية. ولم يمض زمن طويل حتى بدأ صانعو القطارات - الدمى في كل مكان استخدام سكك حديد موحدة المقاييس.

وبعد ست سنوات عرضت "ماركلين" مجدداً في معرض ليبزغ فكرة رابحة أخرى هي أول قطار - دمية في العالم يسير بالطاقة الكهربائية. فبدلا من تسييره بالطاقة الساعيَّة أو البخارية، سُيِّر هذا القطار بتيار كهربائي بقوة ١١٠ فولط، وهي خطوة جريئة باعتبار أن معظم البيوت لم تكن بعد ممدودة بالكهرباء.

وفي الثلاثينات أخذ الاخوان ماركلين قراراً يقضي بأن تتخصص شركتهما بصنع القطارات - الدمى.

تابعت "ماركلين" غزو الأسواق بمبتكراتها المتجددة. ولم يحل العام ١٩٣٥ حتى انتجت أول نموذج مصغر لسكة حديد كهربائية. فبات متيسراً بسط هذه الشبكة الرخيصة الثمن، المكوَّنة من قطارات تسير على سكك عرضها ١٦،٥ مليمتراً (من طراز HO)، تحت شجرة الميلاد. وسرعان ما غزت العالم. وفي العام ١٩٧٢ اطلقت الشركة مجموعة أصغر وفيها سكك عرضها ٦،٥ مليمترات فقط من طراز «Z». وكانت القطارات التي لا تزيد حجماً على إبهام اليد، خفيفة الى

(٤) Gauge 1

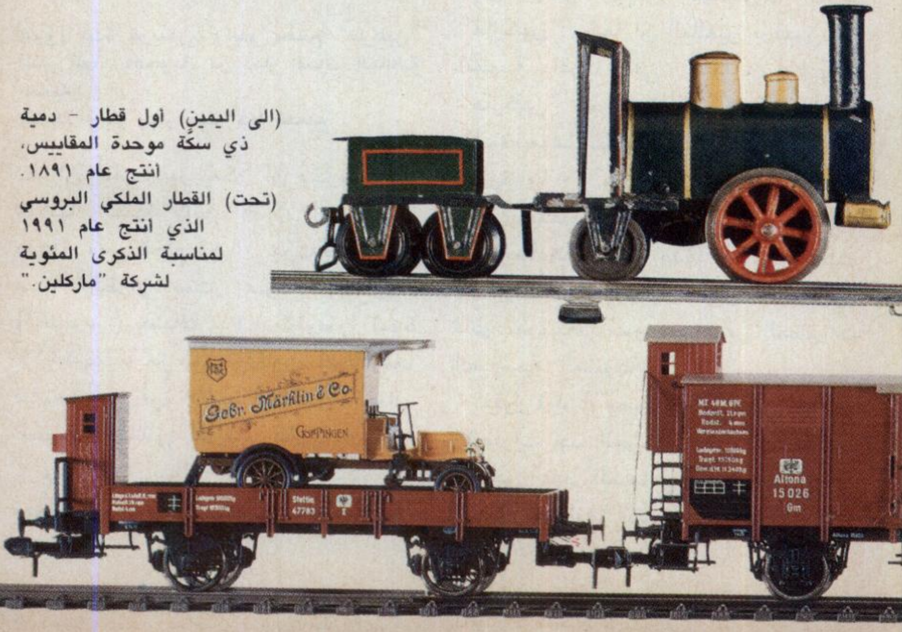

(الى اليمين) أول قطار - دمية ذي سكَّة موحدة المقاييس، انتج عام ١٨٩١.
(تحت) القطار الملكي البروسي الذي انتج عام ١٩٩١ لمناسبة الذكرى المئوية لشركة "ماركلين."

COURTESY OF MÄRKLIN & CIE; INSET, PHOTO LAMBERT

(فوق) بلدة غوبنغن. ويبدو مصنع "ماركلين" الذي نجا، بأعجوبة، من دمار الحرب العالمية الثانية.
(تحت) فريتز ريكر خلف خط تجميع.

حد أن فُتات خبز يمكن أن يُخرجها عن سكتها، لكنها كانت متينة الى درجة مذهلة. وفي العام ١٩٨١ جرَّت قاطرة من هذا الطراز ست عربات سريعة (اكسبرس) مسافة ٧٢٠ كيلومترا لمدة ١٢١٩ ساعة من دون توقف، مسجلة رقماً قياسياً في قوة الاحتمال دخل "كتاب غينيس الالماني للارقام القياسية."

ولم تلبث نماذج القطارات هذه أن تحوَّلت من مجرد دمى للاطفال الى "هواية شائعة بين البالغين،" كما يقول ديتر فولز مدير الصادرات لدى "ماركلين". وبما أن البالغين يرغبون في أنظمة أقرب الى الواقع، طوَّرت "ماركلين" أجهزة تحكم رقمية يستطيع مستخدموها تشغيل ما يصل الى ٨٠ قاطرة و٢٥٦ عربة ملحقة انطلاقاً من جهاز تحكُّم مركزي يتيح تسريع كل قاطرة أو ابطاءها على حدة. وإذا وُصلت القاطرات الى جهاز تحويل كمبيوتري، فانها تقوم بعدد غير محدود من المناورات المبرمجة المتنوعة.

يقول فولز: "يصل ولع البالغين بنماذج القطارات حد الهوس، حتى انٍ بعضهم يحصي عدد المسامير "المبشَّمة" في السكك. فاذا ما أنتجنا مجموعة تتضمن

١٨٠٠ مسمار بدل الالفين التي يتضمنها النموذج الاصلي، فانهم يثيرون ضجة كبيرة." وهذا ما يفسر الدقة العالية التي تعتمدها "ماركلين" في نماذجها، والاثمان الباهظة كذلك. ويباع نموذج قطار الشحن الملكي البروسي، الذي انتجت منه "ماركلين" عدداً محدوداً لمناسبة مرور مئة عام على انتاجها الاول، بمبلغ لا يقل عن ٢٠٠٠ دولار.

أنامل النساء. لا تزال مكاتب "ماركلين" الرئيسية قائمة في غوبنغن، وهي اليوم مدينة يبلغ تعداد سكانها ٥٣ ألفاً. ولا يزال أحفاد ثيودور وكارولين يملكون ٣٣ في المئة من أسهم الشركة التي تضم الآن ١٧٠٠ موظف ويديرها ثالوث من خبراء متخصصين بشؤون المال والانتاج والتسويق. وتمثل منتجات "ماركلين" نحو نصف الانتاج العالمي من نماذج القطارات، وهي بلغت أربعة ملايين قاطرة وعربة في العام ١٩٩٠. ويتضمن هذا العدد نماذج عربات نمسوية لنقل السيارات وعربات شحن سويسرية وقاطرات كهربائية فرنسية وقاطرات ديزل أمريكية، الى سلسلة لا تنتهي من العربات المكشوفة أخذت تصاميمها عن الاصلية المصنوعة في اليابان والمكسيك وكندا والولايات المتحدة وأوروبا. وبلغت نسبة صادرات الشركة الى خمسين بلداً ٢٠ في المئة من دخلها العام الذي بلغ ١٨٠،٢ مليون مارك ألماني (نحو ١١٠ ملايين دولار) في العام ١٩٩٠.

تخرج ٣٠٠٠ قاطرة و١٥ ألف عربة يومياً من خط التجميع في مصنع "ماركلين" المبني من الآجرّ الابيض والذي بدأ بالمبنى الذي شاده الاخوان يوجين وكارل في العام ١٩٠٠. وقد أبدلت قوالب السكب القديمة بأخرى حديثة متطورة، لكن المكان لا يزال يعبق بأنفاس الحرفية العتيقة. ويعمل رئيس خط التجميع فريتز ريكر في الشركة منذ ٤٥ عاماً. وكان والده طور عام ١٩٣٣ قطار ماركلين الشهير "التمساح" الذي أخذ تصميمه عن أصل سويسري. كما يعمل شقيقه لدى الشركة رساماً هندسياً.

تطْلع ماركلين سنوياً بنحو ١٥٠ ابتكاراً يستغرق انتاج كل منها سنتين. مثال على ذلك ما حدث مع شركة "ميشلين" الفرنسية. ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٨ خلال جلسة تبادل أفكار عاصفة في غوبنغن اقترح بيار فيلمان المدير العام لفرع "ماركلين" في فرنسا، انتاج عربة مفردة تجمع بين القاطرة وعربة الركاب كانت شركة "ميشلين" صممتها عام ١٩٣٢، مشيراً الى أن ناقلتين من هذا النوع لا تزالان قيد العمل في مدغشقر.

وافقت "ميشلين" على تقديم مخططات تصميماتها الاولية، فابتكر منها مصمّمو "ماركلين" مخططاتهم بمقياس نسبي هو ١:٨٧ راسمين كل جزء على حدة. وتبدو دائرة الابحاث والتطوير حيث

يعملون أشبه بمختبر تُستخدم فيه أجهزة كمبيوتر تتيح تحليل المكوِّنات المعدنية والبلاستيكية وفق نظام ثلاثي الابعاد وقياس أوزانها بدقة متناهية. يقول المصمم اندرياس شومان: "إن المهمة الأكثر تحدياً في مجال تصغير المقاييس هي تصميم العجلات بشكل يتيح لها الدوران على نحو موافق."

بعدما ثبت صلاح نموذج نحاسي أولي من الابتكار الجديد المقتبس عن "ميشلين"، في تجارب مطوَّلة على سكة اختبار، اعطت الادارة تعليمات ببدء الانتاج على نطاق واسع. فبدأت ورشة الانشاءات الميكانيكية صنع المعدات والقوالب المطلوبة لانتاج ألوف القطارات. وكالعادة، وُضعت اللمسات الاخيرة يدوياً بهمَّة نسوة تستطيع أناملهن الرشيقة تنفيذ أدق التفاصيل. وقد شاهدتُ امرأة تلتقط نابضاً صنع من أسلاك شعرية وتدخله في عجلة، فيما راحت أخرى تطلي شريطاً أسود دقيقاً على ذراع توصيل بحجم ابرة.

بعد ذلك أُخضعت النماذج المكتملة لتجارب قاسية وانتُقي بعضها عشوائيا وفُكِّك لاختبار أجزائه. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ أنزلت الى الاسواق الدفعة الاولى المؤلفة من ١٢ ألف نموذج من قطارات "ميشلين" بسعر افرادي بلغ ٥٠٠ دولار، فنفدت خلال أشهر قليلة.

رولز - رويس القطارات. تتوافر منتجات "ماركلين" الحديثة في جميع محال الالعاب والمخازن الكبرى، لكن النماذج القديمة لا تتوافر إلا في متاجر الاثريات وفي قاعات المزاد.

من هؤلاء الهواة خباز من سوابيا، في جنوب ألمانيا، يحتفظ في قبو بيته الغريب بنحو ٢٠٠٠ نموذج ودمية لقطارات أثرية جمعها على مدى خمسة عقود وتقدر قيمتها حالياً بنحو ١،٥ مليون مارك (نحو ٩٠٠ ألف دولار).

ويذهب بعض الهواة الى أبعاد مذهلة. مثال على ذلك أثنان من هواة نماذج السكك الحديد يعيشان في منطقة قريبة من هامبورغ، حفرا ثقوباً في جدران قبوي منزليهما المتجاورين وأدخلا فيها أنبوباً يعمل نفقاً تمر قطاراتهما عبره. كذلك فعل هاويان من ستافودشير في بريطانيا في علّيتي منزليهما المتجاورين.

بعد ١٢ ساعة من المزادات في قاعة "كريستي" ضرب الدلال مطرقته معلناً بيع القطعة الاخيرة في مجموعة كولوتسي، مسجلاً رقماً قياسياً من المبيعات بلغ ١،٢ مليون جنيه استرليني (نحو ٢،١ مليون دولار). وكما كان متوقعاً، سجلت نماذج "ماركلين" أعلى الاسعار. يقول طوم روز مدير مزادات النماذج في "كريستي": "لقد أثبت المزاد، مرة أخرى، أن ماركلين هي بمثابة رولز - رويس نماذج القطارات. ولسوف تتابع ادخال البهجة قلوب الأطفال والهواة في أنحاء العالم."

كولين أوكونر ■

الهدية لغة القلب

من لا يحب أن يتلقى هدية؟ ولكن كيف نختار نحن هدايا تعجب الآخرين؟

"برباره،" ناداني زوجي، "هديتك للعيد هي في الثلاجة." توجهت نحو الثلاجة وقد أخذتني الحيرة وفتحتها وأنا أضحك. فقد وجدت داخلها علبة جيلاتي (آيس كريم) كبيرة ملفوفة بعناية. كان حبي للجيلاتي مضرب مثل في بيتنا.

انفجرت ضاحكة بعدما نزعت اللفافة عن الهدية، فبدلا من الجيلاتي وجدت في العلبة أربعة أرقام خشبية كبيرة لمدخل المنزل، محفورة باليد. كان زوجي بيل سمعني أقول، قبل أشهر، انني أرغب في أرقام للمنزل تسهل قراءتها.

تحرّكت مشاعري وأحببت اللفتة المرحة في مفاجأته المزدوجة.

ذكّرتني الهدية بحديث سمعته مصادفة في أحد المتاجر الكبرى. كانت امرأة تعيد هدية تلقتها من زوجها وهي تقول للبائعة: "ألا تفترضين أنه، بعد عشرين عاماً من الزواج، كان على زوجي جورج أن يعرف أنني لا ألبس الحلى الذهبية مطلقا؟" **ومع أنها كانت تمزح فانني أحسست رنّة أسى في نبرتها.**

PHOTO: ROBERT MILAZZO

لم يسعني الا أن اقارن بين الاسلوبين في تقديم الهدية. فربما دفع جورج مئات الدولارات ثمن حلية لم تحبها زوجته، أما بيل فقد صرف عشرين دولاراً على الهدية لكنه، وقد فكّر بتأنٍ، اختار الهدية المناسبة لي. وهذا هو كل معنى الهدية.

كتب تشارلز ددلي وارنر في العام ١٨٧٣: "ان تميُّز الهدية يكمن في ملاءمتها وليس في قيمتها المادية."

معظمنا يرغب في تقديم الهدية المثالية الى أصدقائه وأحبابه، لكننا في هذا العالم المتسارع الخطى نندفع لانجاز العمل بسرعة. ليس من الضروري أن يكون اختيار الهدية عملا شاقاً، اذ يمكن أن يكون مبهجاً للذي يعطي وللذي يأخذ كذلك. وهنا خمسة سبل لاعادة **البهجة الى هذا التقليد العتيق الرائع:**

١. تأكد أن لهديتك معنى خاصاً لدى المهدى اليه. عندما تفكر في اختيار هدية، اسأل نفسك ماذا يهم المهدى اليه. ان ادراك ما يعتبره الآخر قيماً قد يكون هدية في ذاته.

في عيد زواجهما الثامن عشر تلقت روزيتا بيريز من زوجها راي بيت دمى خشبياً (بقياس متر × ١،٥ متر). فقد سمعها تتحدث تكراراً عن بيت الدمى الذي تاقت اليه دائماً وهي طفلة ولم تحصل عليه. تقول روزيتا: "رأى زوجي الطفلة داخلي وأعطاني الهدية الاكثر اثارة للمشاعر في حياتي."

٢. ابقَ متنبهاً لهدية قد يرغب فيها الطرف الآخر من دون أن يدرك ذلك. لدى عودتي من المستشفى حيث أجريت لي جراحة بسيطة، لاحظت على طاولة المائدة قطعة زينة جديدة كانت هدية ترحيب من ولديَّ. لم **أدرك**، قبل ذلك، كم كانت القطعة القديمة بالية. لكن هذا ما احتجت اليه حقاً وما رغبت فيه.

ان الامر المهم في تقديم الهدايا هو أن تبقى متنبهاً خلال السنة لبعض الاحاديث العابرة. فقد كانت والدتي تحتفظ بدفتر خاص تسجل فيه أفكار هدايا تكوّنت خلال أحاديث مع أفراد العائلة، وكانت الصرخة المألوفة في بيتنا صباح العيد: "ماما! كيف عرفت أن هذا ما أريده حقاً؟"

قد نعرف أحياناً الحاجة الحقيقية لشخص ما أكثر مما هو يعرف. يضحك روني مايس عندما يذكر الهدية التي تلقاها من والده لدى تخرّجه في المدرسة الثانوية: "دورة تدريبية في تطوير الذات! **كم كان ذلك محبطاً! لقد كنت أريد سيارة." لكن روني مقتنع الآن بان تلك الدورة أعطته المهارات الضرورية ليصبح محاضراً محترفا.**

٣. قدِّم وقتك وموهبتك. تلقت صديقتي ديان فوغل من ابنة زوجها هدية غير عادية لمناسبة عيد ميلادها. كانت جون في الرابعة عشرة من عمرها عندما تزوج والدها ديان، ومرّت العائلة بأوقات

صعبة، لكن العلاقة بين البنت و"الخالة" نمت تدريجاً وتوثقت. وفي السن العشرين قدّمت جون الى ديان هدية لا تخطر ببال: قسيمة وقعتها جون تلتزم فيها القيام بمهمات التسوُّق والغسل والكي وتقديم طعام الفطور في الفراش لمدة أسبوع. وتفسر ديان الامر قائلة: "هذه **خدمات أحبَّت جون تقديمها تعويضا."**

ان هدية يشع منها جهدك واهتمامك الشخصيان ستقدَّر أكثر من أغلى الجواهر. نبشت تويلا دل صندوقاً يحوي صوراً لأمها، وجمعتها في "ألبوم" مع تعليق على كل صورة، وقدمته هدية الى أمها في عيد ميلادها الخامس والستين!

٤. لا تتأخر عن المناسبة. كلنا يعرف ضرورة أن نذكر الاطفال في أعياد ميلادهم. لكننا قد لا ندرك أهمية ذكر الجد في مناسبة مماثلة.

حتى في زحمة العمل، كل ما تحتاج اليه هو مكالمة هاتفية لترتيب عشاء خاص في مطعم مناسب.

٥. لا تنتظر المناسبات الخاصة. اعتاد ابني جون أن يفاجىء زوجته أثناء عملها بوردة واحدة، وهي لفتة عفوية تعني دائماً: "أحبك." متى أعطينا هدية من دون سبب خاص، نكون كمن يبلغ الآخر شيئاً أوضح من الكلمات: "انك مهم بالنسبة الي."

ان أكثر الهدايا التي قدمتها عفوياً في حياتي كانت شيئاً اشتريته في احدى الاجازات الصيفية. فقد دخل زوجي محلا تجارياً وأبدى اعجابه بحزام جلدي مزيَّن بنسر فضي نافر، لكنه أرجعه الى مكانه حين رأى ان سعره مرتفع. وعندما عدت الى المحل ورأيت الحزام ذاته، اشتريته، مع أنه كان غالي الثمن، لانني عرفت أن بيل سيحبه. وسُرّ بيل بالهدية، لكن سروره كان أكبر بفكرة شرائها من دون سبب خاص – الا أنني أحبه.

أحياناً تكون الهدية بسيطة جداً، وعميقة جداً بمعناها. والامر الاساسي هو أن تظهر أنك مهتم بالشخص الذي تقدم اليه الهدية.

برباره بارتوتشي ■

بيت الجيران

أخبرتنا ابنتنا المراهقة بحماسة فائقة انها حصلت على عمل جزئي في تنظيف بيت الجيران. فعجبت أمها للامر لان ابنتها نادراً ما كانت تساعدها في أعمال المنزل، وسألتها: "وهل تجيدين تنظيف المنازل؟"

فأجابتها ببراءة: "هذا سهل يا ماما، فانا منذ سنتين أراقبك وأنت تعملين!"

ر.ب.

الصّـ

ألفت الفتاة نفسها
وحيدة مشلولة
وأدركت أنها لن تصمد
ليلة واحدة في
صقيع تلك الجبال

ILLUSTRATION: GARY GLOVER

اعقة

قصة من واقع الحياة

أحست ماري أوليري رعشة تسري في جسدها وهي تنزع دعامات خيمتها المقببة الصغيرة. كانت سماء الصباح ملبدة بالغيوم والحرارة أربع درجات مئوية في ذلك المهد الجبلي الصغير المكشوف. كان ذلك يوم الجمعة ١١ آب (أغسطس) ١٩٨٩، الثالث في رحلتها التي كان مقرراً أن تستغرق خمسة أيام في غابة روزفلت الوطنية بولاية كولورادو التي تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ كيلومتر مربع.

كانت هذه الجامعية الشقراء ابنة الثلاثة والعشرين تعشق البرية، لكنها لم تمارس هواية التخييم الا في الآونة الاخيرة. وكانت هذه أطول رحلة تقوم بها منفردة.

عندما بدأت الغيوم تتلبد في السماء، شدت ماري على ظهرها حقيبتها المنتفخة ذات الاطار المعدني وبدأت سيرها المتوحد. وفي الحادية عشرة وصلت الى مرجة معشبة عالية على جبل بالد (أي الاصلع) الذي سمي كذلك نسبة الى قمته الصخرية الجرداء. فأنزلت حقيبتها الثقيلة عن ظهرها واستندت الى صخرة كبيرة.

كانت ماري تأمل انحسار برد الصباح، اذ لم تكن ترتدي

سوى قميص رقيقة وسروال قصير وفوقهما بذلة رياضية قطنية رمادية. الا أن الهواء ازداد برودة والريح اشتداداً. واذ قصف الرعد في البعيد، انتصبت ماري على قدميها وقالت في نفسها: "من الافضل أن أواصل السير قبل أن تحاصرني العاصفة."

تسلقت المسافة المتبقية الى قمة الجبل بسرعة، ووقفت هناك تستمتع بالمنظر الجميل. ولاحظت في الأسفل سلسلة تلال صغيرة تمتد جنوباً على طول خط الأشجار المتعرج. فقدرت أن في امكانها هبوط الجبل على نحو أسرع ان هي تركت الدرب الرئيسية واجتازت السلسلة الى قمة مجاورة.

كانت منحدرة في طريقها عندما تساقطت أولى قطرات المطر. فتوقفت ماري لحظة وارتدت سترتها الواقية. وما ان وصلت الى خط الاشجار حتى كان المطر يهطل بغزارة. وحين ومض البرق عدَّت ماري خمس ثوان قبل أن تسمع الرعد، مما يعني أن العاصفة كانت لا تزال بعيدة عنها حوالى ١٦٠٠ متر.* فارتأت أن تتابع سيرها ما دامت تستطيع ذلك.

لكن العاصفة ما لبثت أن دوت برعد يصم الآذان، فخفت ماري الى تحت الاشجار مطأطأة الرأس اتقاء، غير أنها لم تنجُ من بلل المطر ونقر حبات البرد. واستمر هطول المطر غزيراً نحو ساعة ثم توقف قرابة الاولى بعد الظهر.

(*) كل ثلاث ثوان تعادل حوالى كيلومتر.

واذ أطلَّت الشمس مجدداً خرجت ماري من بين الأشجار. وفيما هي تنظر الى تحت محاولة تثبيت حزام وسطها، اذا بسيف برق ينزل من السماء الصافية على الاطار المعدني لحقيبة الظهر. وفي لحظة انفجر العالم حول ماري بضوء ساطع صاعق.

مشلولة! عَبَر سيف البرق جسد ماري محدثاً فرقعة مدوية ورافعاً اياها عن الأرض. فانقبضت عضلاتها وتشنجت عروقها حابسة تدفق الدم الى أطرافها، وانتصب شعرها على مداه. واذ اندفعت الشحنة الكهربائية عبر ساقيها سافعة الاعصاب وأنسجة العضلات، أزكمت رائحة اللحم المحترق منخريها. فبقيت جامدة في هذا الوهج الابيض الخالص. واخيراً توقف الهجوم الصاعق وسقطت ماري أرضاً. أحست وخزاً حاداً في رأسها وأعلى جسدها، لكنها لم تشعر بشيء دون وسطها. وخرجت من بين شفتيها همهمة جشّاء: "ساعدوني!"

أدركت ماري ما حصل لها. لقد كان البرق صاعقة غير متوقعة انطلقت من غيمة عابرة غير مرئية تبعد كيلومترات وتقوَّست انحداراً وسقطت عليها من السماء الصافية فوقها. واذ تأكدت ماري من دنو أجلها أخذت تصلي: "ربي، لا تتركني..." وخيم عليها هدوء عميق وهي تتكلم. وما هي الا دقائق حتى تقلص الوخز وتمكنت من رفع رأسها ببطء.

قالت في نفسها غير مصدقة: "أظن

أنني لا أزال على قيد الحياة." واستدارت على جنبها الأيمن وتخلصت من حقيبة الظهر، لكنها لم تستطع تحريك ساقيها. فارتسمت في مخيلتها صورة مخيفة: ماذا لو كانت جزمتها لا تحوي سوى أجزاء محروقة من قدميها؟ وراحت ترتجف وهي تقاوم دموع الخوف: "ماذا افعل الآن؟"

أدركت ماري، وقد أصيبت وهي بعيدة عن الدرب الرئيسية، أنها ستموت لا محالة ما لم تجد من يغيثها. وكان حظها ضعيفاً في البقاء حية وان لليلة واحدة في صقيع تلك الجبال. وعاد المطر يسقط والريح الباردة تعصف. وفي وضعها الصعب تعين عليها ان تصل الى درب حيث يمكن أن يمر أحد الحطابين أو حراس الغابة.

انها تحتاج الى ماء قبل أي شيء، فأخرجت من حقيبتها زجاجة ماء ودستها في جيب سترتها، وقررت ألا تأخذ طعاماً اقتناعاً منها بأنها لن تستطيع حمل الكثير وهي عاجزة عن تحريك رجليها.

وتذكرت أن هناك طريقاً في أسفل التلة مخصصة لسيارات الجيب. ولما كانت عاجزة عن الوقوف، بدأت تزحف على بطنها وهي تجر ساقيها الفاقدتي الحركة. وحاولت أن تتفادى الصخور المسننة، لكنها ما لبثت أن أحست ببرودة مروعة، فالتفتت الى الخلف لترى أنها كانت تسحب ساقها على صخرة حادة الطرف كسكين. ولاحظت أن الاحتكاك لم يسبب ألماً، بل برودة، فتساءلت عما يمكن أن يكون حصل لها. وتحسست ساقها بلطف، ثم بقوة. كانت فاقدة الحس تماماً.

"**أمري لله.**" قررت ماري أن تجرب طريقة أخرى. فوضعت ساقيها أمامها وزحفت وقدماها في المقدمة بحيث ترى أين تضع طرفيها الميتين. وسرعان ما صادفت حاجزاً بدا تجاوزه مستحيلا. كان ذلك شجرة مقطوعة طولها ٢٠ متراً، وسيستغرق الالتفاف حولها وقتاً طويلا، وكان جذعها يعلو عن الأرض ثلاثة أمتار. أدركت ماري أنها لن تستطيع تجاوز هذه العقبة من دون استخدام رجليها. وعلى رغم ترددها، بدا أن ثمة صوتاً داخلها يحضها على الاستمرار.

أخذت ماري نفساً عميقاً ورفعت قدميها ووضعتهما على جانب جذع الشجرة، ثم ضغطت الارض براحتيها لترفع جسدها، وقدميها أولا، مقوسة ظهرها ليساعد في دفع وركيها وساقيها المرتخيتين فوق الجذع. وراحت تشجع نفسها: "هيا، انك على وشك أن تنجحي." ثم دفعت أعلى جسمها الى الأمام منشبة أطراف أصابعها في لحاء الشجرة مما جعل عضلات معدتها المشدودة ترتعش ألماً. لكنها استطاعت أن ترفع نفسها فوق الجذع الضخم. ثم انزلقت بتؤدة الى الجانب الآخر.

كانت الساعة تجاوزت الثانية بعد الظهر. فحضت ماري نفسها وهي تتقدم بصعوبة: "قليلا بعد." كانت يداها تجرحتا وتحولت رجفتها ارتعاشاً.

واكتشفت ماري أخيراً أنها تستطيع تحريك ساقها اليمنى قليلا. فحاولت أن تنتصب من فرط حماستها، لكن الألم الحاد أفاق في جسدها، فانهارت على الارض الرطبة يملأها القنوط. وساءلت نفسها: "اذا تمكنت من الخروج من هنا، فهل سأقضي بقية حياتي في كرسي نقال؟"

وفجأة عاودتها ذكريات الصبا. عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، أبلغت الى مدربتها في فريق كرة السلة والدموع تغرق عينيها أنها تريد ترك الفريق بعدما اهانتها احدى رفيقاتها بتعليقات جارحة. فردت المدربة بهدوء: "حسناً يا ماري، ولكن اذا انسحبت الآن، فستعتبرين نفسك دائماً شخصاً انهزامياً." وبقيت ماري في الفريق وكلمات المدربة عالقة في ذهنها مذذاك.

خاطبت نفسها عالياً: "ها يا أوليري، تحركي!"

شاهدت ماري بقعة صخرية على مسافة مئة متر أمامها. واذ اقتربت منها أدركت أنها درب رملية. فحاولت أن تزحف بوتيرة أسرع خشية أن تمر سيارة من هناك فلا يراها سائقها بفعل المطر. وأحست أن اجتياز الامتار الخمسين الاخيرة سيستغرق دهراً، وقالت في نفسها: "لن أستطيع اجتيازها، انها مسافة بعيدة." ومع ذلك راحت تجر ساقيها أمامها، الواحدة بعد الأخرى، متجاهلة آلامها.

ولم تصل الى الدرب حتى هدها الانهاك وتملكتها الرجفة. فأستلقت قرب صخرة كبيرة مغمضة عينيها اتقاء للمطر البارد. وصارحت نفسها: "لقد بذلت وسعي. وأمري لله."

جسد في الطريق. كان سكوت أندرسون وغاري لونغ يبحثان في هذه المنطقة النائية عن خشب نادر يتميز بألياف لولبية. والرجلان شريكان في معمل نجارة. ولما هبت العاصفة هرعا الى شاحنة سكوت في انتظار أن تهدأ. وعادا الى موقع عملهما قرابة الثالثة بعد الظهر. لكن السماء اكفهرت مجدداً، فحملا معداتهما وسلكا الدرب الرملية عائدين الى منزليهما. وكان غاري يقود شاحنة صغيرة مقفلة يتبعه سكوت بشاحنته المكشوفة.

فجأة لمحا كلاهما جسد ماري الملطخ بالوحل ممدداً تحت المطر الى جانب الطريق. فقفز غاري من الشاحنة وركض نحوها، وسكوت في اثره. فصرخت ماري ناشجة: "أنا في حاجة الى مساعدة. لقد ضربتني صاعقة."

لم يصدق سكوت وغاري أول الأمر أن ماري نجت من اصابة برق مباشرة. ومدداها على المقعد الامامي في الشاحنة وهي نصف واعية تتأوه ألماً.

سلك سكوت الدرب الموحلة الوعرة. وراح يسترق نظرات قلقة الى الجسد المرتعش والوجه الشاحب للفتاة الممددة على المقعد قربه. وقال في نفسه: "لا تبدو في حال جيدة. يجب أن أجعلها

تحدثني باستمرار." فراح يسألها عن اسمها ومن أين هي وعن كل ما خطر بباله. وكلما امتنعت عن الاجابة كان سكوت يلح بالسؤال ويخاطبها بلطف: "ابقي معي يا ماري."

وفي منتصف الطريق نزولا من الجبل التقوا احد حراس الغابة الذي اتصل لاسلكياً طالباً مساعدة. وفي غضون دقائق حضرت سيارة إسعاف نقلت ماري الى طوافة طارت بها الى المستشفى.

فتاة مكافحة. حين أدخلت ماري المستشفى في الخامسة بعد الظهر كانت حرارتها هبطت الى ٣٥ درجة مئوية، وكان جسدها يرتعش بعنف، وسجل ضغط دمها انخفاضاً منذراً. والى الحروق في ظهرها وأسفل قدمها اليسرى، عانت حروقاً ورضوضاً في جانبيها. وازرقّت رجلاها المتورمتان.

وفي غرفة معالجة الصدمات، ذهل الدكتور دانيال تورنر حين علم أن ماري زحفت اكثر من كيلومتر ونصف كيلومتر على أرض جبلية وعرة لتصل الى حيث صادفت من أنجدها. حتى بقاؤها حية بدا له أمراً لا يصدق. فالصواعق تقتل سنويا نحو ١٠٠ أمريكي، علماً أن شحنة واحدة يمكن أن تحمل أكثر من ١٠٠ مليون فولط وتبلغ حرارتها ٢٨ ألف درجة مئوية.

أمر الدكتور تورنر بحقن ماري سوائل دافئة وبتغطيتها ببطانيات كهربائية تبعث الحرارة في جسدها. وبدأ يعالج حروقها. وشجعه انها ظلت محتفظة بوعيها ومتمالكة نفسها. ولكن حين سألته عن أملها بالسير ثانية لم يستطع الاجابة بسهولة واكتفى بالقول: "علينا أن ننتظر ونرى."

وفي الايام التالية التي أمضتها ماري في المستشفى، عادت الدورة الدموية الى الجزء السفلي من جسدها واستعادت الحركة والاحساس بساقيها. وبعد خمسة أيام على تجربتها المروعة استطاعت الوقوف على قدميها والسير مجدداً. وقال الطبيب المناوب جايمس بوش: "انها معجزة حقاً. ماري فتاة مكافحة."

وعلى رغم ان الحروق في ظهرها وجانبيها وقدمها ستذكرها دائماً بمحنتها، فانها لا تنوي التخلي عن هواية تسلق الجبال. وهي مصممة الآن، اكثر من أي وقت مضى، على مواجهة تحديات الحياة. وتعترف: "اني بت أخاف كثيراً من الصواعق،" ثم تستدرك: "ولكن لا يمكنني أن أدع الخوف يسيطر علي. لقد أدركت من رحلتي تلك أنني أقوى كثيراً مما كنت أعتقد، وانني لست انهزامية قطعاً."

ديبرا موريس ■

أنهى المذيع نشرة الاخبار بالآتي: "اليكم الآن نشرة الاحوال الجوية، التي كانت أسوأ من الاخبار."

"وول ستريت جورنال"

صور من الحياة

طراز قديم

■ طلبتُ في أحد المحالّ حذاء مريحاً للمشي، لكن البائعة لم تقدم الي سوى احذية عصرية مصممة للشابات. فشرحت لها اني اريد حذاء واسعاً مريحاً من الطراز القديم. وبعدما انتقيت حذاء ملائماً سألتني: "أتدفعين نقداً ام ببطاقة اعتماد؟"
اجبت: "نقداً."
قالت: "انك حقاً من الطراز القديم."

و.غ.

مرشد من الضلال

■ ذهبت وابن عمي مرة في رحلة لصيد السمك. واذ ضيَّعنا الطريق استرشدنا بأحد المارة المحليين فقال لنا: "تابعا السير حتى نهاية الطريق. هناك انعطفا يسرة اذا أردتما، لكن ذلك يقودكما في اتجاه خاطىء. عليكما سلوك الطريق الصحيحة."

ب.خ.

قميص عزيزة

■ احب زوجي قميصه الرياضية الصفراء وظل يرتديها حتى امتلأت ثقوباً تحت الابطين وحول الياقة. لكنه رفض التخلي عنها حتى بعد اهدائي اليه قميصاً جديدة.
فصممت على التخلص من تلك القميص اثناء غياب زوجي. واذ توجهت الى خزانته لاخراجها، فوجئت بالقميص الصفراء المخرَّمة معلقة في الواجهة وقد اولجت في كميّها سلسلة معدنية اخترقت عروة العلاقة ومُرِّرت فوق قضيب التعليق وقُيِّدت بقفل.

ا.و.

دراجة الصغير

■ طلب مني ابني الصغير ان اشتري له دراجة هوائية، فجاء جوابي عفوياً: "ليس لدينا مال نصرفه على دراجة، فابوك لا يسرق."
وبعد فترة اشتريت له واحدة مما ادخرته. وفيما هو يجربها في فناء المنزل ناداه جارنا: "يا لحظك السعيد! هل اشترى لك ابوك هذه الدراجة؟"
اجاب ابني: "نعم، كان يسرق المال ويجمعه لدفع ثمنها."

ا.د.س.

صهر ديبلوماسي

■ كان صهري يساعدني اثناء موسم التنزيلات في محل الأحذية الذي أملكه. وذات يوم نزع حذاء سيدة مسنّة جاءت تبتغي الشراء، فاعتذرت له عن قدميها المكسوتين بالعقد و"المسامير."
فقال لها بلطف: "لا باس يا سيدتي، فلا يمكنك أن ترتجي الجمال في كلا طرفيك."

ك.ج.

أثمن هبات الحياة القدرة على ملامسة قلوب من نحب

أعزف لنا لحن الفرح

لن أنسى يوم ارتقى أبي سلَّم بيتنا حاملا آلة الأكورديون الثقيلة. وسرعان ما ناداني وأمي الى غرفة الجلوس وفتح العلبة، كأنها صندوق كنز، وقال: "ها هي. متى تعلمت العزف، فلن تنساه ما حييت."

ولئن لم تجارِ بسمتي المقتضبة ابتسامة أبي العريضة، فلأني رجوت أن أنال غيتاراً أو بيانو. كنا في العام ١٩٦٠، وكنت أتسمَّر الى جهاز الراديو لأستمع الى موسيقى الروك - أند - رول. ولم يكن للأكورديونات مكان على لائحة أمنياتي. واذ نظرت الى المفاتيح البيضاء اللماعة والمنافخ القشديَّة اللون، تخيلت هزء أصدقائي بي في الغد.

قبع الأكورديون طوال أسبوعين في خزانة غرفة الجلوس. وأخيراً أعلن أبي أن في وسعي بدء دروس الموسيقى في الاسبوع اللاحق. رمقتُ أمي مستنجداً، لكن الصرامة في اطباقة فكيها أنبأتني بنفاد حظي.

كان انفاق ٣٠٠ دولار ثمناً للأكورديون، وخمسة دولارات للدرس الواحد، أمراً لا يتفق وطبع والدي الذي عرفناه عملياً على الدوام. فهو ترعرع في مزرعة حيث كان الملْبس والدفء، والمأكل أحيانا، أموراً عزيزة.

انتقل والداي، قبل ولادتي، الى منزل جدي لأمي في نيوجرزي. وكان أبي يقطع كل يوم مسافة تستغرق ثلاث ساعات ذهاباً الى مركز عمله وايابا منه، حيث كان مراقبا في شركة لصيانة المحركات النفاثة. وفي عطل نهاية الاسبوع كان يمضي أوقاته في القبو منهمكاً في طائفة

من الاعمال اليدوية المتنوعة. وكان هادىء الطبع، خجولا، يجد أقصى الراحة على منضدة العمل.

ولم يكن شيء ليزحزح أبي عن أدواته ومشاريعه سوى الموسيقى. فكان لحظة ركوبه السيارة أيام العطل يدير جهاز الراديو. وكنت، لدى توقفه أمام اشارات المرور الحمراء، ألاحظ نقر قدمه على وقع الالحان.

ومع ذلك فوجئت وأنا أقلّب محتويات احدى الخزائن، اذ وجدت علبة بدت كأنها لغيتار صغير. وعندما فتحتها طالعني بريق كمان صقيلة. فقالت أمي: "إنها لابيك، أهداها اليه والداه. لكني أظنه كان منهمكاً في أعمال المزرعة فلم يتسنَّ له تعلُّم العزف عليها."

حاولت أن أتخيل يدي أبي الخشنتين وهما تعزفان على هذه الآلة الرقيقة، فلم أستطع.

"هذا جميل!" بدأتُ دروس الموسيقى على يدي الاستاذ زيلي في "مدرسة أليغرو للأكورديون." شعرت في يومي الأول، وحزاما الآلة يرهقان كتفي، بخَرَق يشوب كل حركاتي. وسأل والدي الاستاذ لدى انتهاء الدرس الأول: "كيف جرت الأمور؟"

فأجاب: "بداية لا بأس بها." فاتقدت وجنتاه أملا.

أُمرت بالتمرن على العزف نصف ساعة يومياً، فبت كل يوم أحاول التملص من قسمتي. بدا مستقبلي زاهراً في لعب الكرة خارج المنزل، لا في العزف داخله محاولا أن أبرع في ألحان سرعان ما أنساها. لكن والديّ ما انفكا يرغمانني على مواصلة التمرين.

ودُهشت اذ وجدت نفسي بعد حين قادراً على تمييز المفاتيح وتنسيق حركة يديّ في عزف ألحان بسيطة. ولطالما طلب مني والدي، بعد العشاء، عزف لحن أو لحنين وهو غارق في كرسيه المريح. فأعزف له باذلا جلّ مقدرتي.

وكان يعلِّق على عزفي مثنيا: "حسن جداً! هذا أفضل من الاسبوع الفائت." فأتابع أنا عزف خليط من ألحانه المفضلة. وسرعان ما يغط في النوم والصحيفة مطوية في حضنه. كنت أعتبر اخلاده الى النوم على عزفي نوعاً من الاطراء.

وذات أمسية من يوليو (تموز)، فيما كنت أعزف مقطوعة "عودة الى سورنتو" عزفاً لا شائبة فيه، ناداني والداي الى حيث كانا واقفين أمام نافذة مفتوحة. فرأيت جارة لنا، عجوزاً، تتكىء على سيارتنا وتدندن اللحن حالمة. وعندما انتهيت من العزف نادتني وعلى محياها ابتسامة عريضة، قالت: "أذكر هذه الأغنية مذ كنت طفلة في ايطاليا. هذا جميل، جميل جداً."

عزف منفرد. بمرور أشهر الصيف زادت دروس زيلي صعوبة، وبت أحتاج الى أسبوع أو أكثر لاتقان معزوفة واحدة. وكنت في تلك الاثناء أسمع أترابي يلعبون

ويمــرحــون في الخــارج. وتتنــاهى سخرياتهم الى مسمعي: "هاي، أين قردك وكوبه؟" (اشارة الى العازفين المتجــوليـن، وخصــوصــاً عــازفي الاكورديون، الذين يقتنون قرداً يحمل كوباً لجمع الاكراميات.)

بيد أن شعوري بالمهانة لم يهمّني مثلما همَّتني الحفلة الموسيقية الوشيكة. كان علي أن أعزف منفرداً على مسرح دار السينما المحلية. ولما انطلقت بنا السيارة الى هناك في اليوم "الموعود" دارت بيني وبين والدي مشادَّة حامية.

قلت: "لا أرغب في العزف منفرداً."

فرد أبي: "عليك أن تفعل."

فصحت: "لماذا؟ ألأنك لم تعزف على كمانك وأنت صبي؟ لماذا يتوجب عليّ العزف على هذه الآلة الخرقاء، في حين لم تضطر أنت الى العزف على آلتك؟"

أوقف والدي السيارة جانباً وقال لي: "السبب هو أنك قادر على ادخال الفرح الى الناس، وعلى لمس قلوبهم بأناملك. وتلك، لعمري، موهبة لن أدعك تبددها." ثم أضاف برقة: "ستتاح لك يوماً فرصة لم أحظَ بمثلها: أن تعزف موسيقى جميلة لعائلتك أنت. وستفهم يومئذٍ جدوى ما بذلتَه من جهد."

أفحمني كلامه، خصوصاً لأني لم أسمعه يوماً يتحدث بمثل هذه العاطفة عن أي شيء. ومذذاك وأنا أتمرن على العزف من دون أن يجبرني والداي على ذلك.

لا أذكر أن أمي تزينت وتبرجت مثلما فعلت مساء تلك الحفلة الموسيقية. أما أبي فعاد من عمله باكراً ولبس بذلة وعقد ربطة عنق وملَّس شعره بمرهم عطري. وإذ جَهُز الاثنان قبل ساعة من موعد الحفلة، جلسنا معاً في البيت نتجاذب

ILLUSTRATION: BRADLEY CLARK

أطراف الحديث بعصبية ظاهرة. في تلك الجلسة تناهت إليّ رسالة غير محكية: الليلة يتحول حلمهما الأثير حقيقة.

ولدى وصولنا الى دار السينما انتابني توتر اذ أدركت فجأة مدى رغبتي في جعل والديّ فخورين بي. وأخيراً حان دوري. فسرت نحو الكرسي المنفرد وسط المسرح، ورحت أعزف من دون ارتكاب أي خطأ. ولما انتهيت من المقطوعة ضجت القاعة بالتصفيق. فشعرت بارتياح لانقضاء محنتي.

بعد انتهاء الحفلة صعد والداي الى المسرح مرفوعي الرأس متوهجي الخدود، فعلمت للحال أنهما مسروران. ضمتني أمي إليها بقوة، وأحاطني أبي بذراعه وقربني إليه قائلا: "كنت عظيماً." ثم أمسك يدي مصافحاً ولم يتركها إلا بعد حين.

كلمات من الماضي. مرت السنون وتوقفت دروس الموسيقى ولم أعد أعزف إلا في المناسبات العائلية نزولا عند رغبة أبي. وعندما التحقت بالجامعة تركت الأكورديون في خزانة غرفة الجلوس، الى جانب كمان أبي.

بعد سنة من تخرجي في الجامعة انتقل والداي الى منزل في بلدة مجاورة. لقد تمكن أبي أخيراً، وهو في الحادية والخمسين، من تملك منزل. ويوم الانتقال لم يطاوعني قلبي أن أطلب منه التخلص من الاكورديون. لذلك حملت الآلة معي الى منزلي أنا ووضعتها في العلّية.

بقي الأكورديون هناك سنوات، ذكرى يكسوها الغبار، الى أن اكتشفه ولداي مصادفة. ظنّه سكوت كنزاً سرياً، وظنت هولي أن شبحاً يسكنه. وكان الاثنان على حق.

وما إن فتحتُ العلبة حتى ضحكا وهتفا: "اعزف لنا، اعزف لنا." تمنطقت الأكورديون متردداً ورحت أعزف ألحان أغنيات بسيطة. ففوجئت بأن مهارتي لم تصدأ. وسرعان ما راح ولداي يرقصان ويقهقهان. حتى زوجتي راحت تضحك فرحة وتصفق مع الايقاع. فشدهني فرحهم الطليق العنان.

وعادت إليّ كلمات أبي: "ستتاح لك يوماً فرصة لم أحظَ بمثلها. وستفهم يومئذ جدوى ما بذلتَه من جهد."

كان أبي على حق: ان أثمن هدية هي ملامسة قلوب من نحب.

اتصلت بأبي هاتفياً لأعلمه أني فهمت، أخيراً، مغزى كلماته ولأشكره على ميراث اكتشفته بعد ٣٠ سنة.

صحيح أن أبي لم يتعلم العزف على الكمان، لكنه أخطأ اذ اعتقد أن عائلته لن تسمع موسيقاه أبداً. في تلك الأمسية الرائعة رقصت زوجتي وولداي على عزف الاكورديون، لكن تلك النغمات كانت موسيقى أبي.

وين كالين ■

الاصدقاء يأتون ويمضون، أما الاعداء فيتراكمون. ت.ج.

هلموت كول: عاد "السّمك" إلى الراين

مقابلة خاصة أجراها رؤساء تحرير الطبعات الاوروبية للـ"ريدرز دايجست" مع المستشار الالماني

س. سيدي المستشار، كيف كان شعورك بعد اعادة توحيد بلدك؟

ج. كان تأثري عميقاً ليلة الثاني من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠. لقد دأبت على زيارة مبنى الرايشستاغ[١] في برلين الغربية على مدى عقود، فأجلس على حافة النافذة وأنظر الى الجدار حالماً بساعة أشهد سقوطه. لم أشك قط في أنني سأرى ذلك اليوم، لأنني كنت مقتنعاً بأن وطناً يرغب في الوحدة لا يمكن حرمانه اياها. وعندما التقيت ميخائيل غورباتشيوف هنا، في بون، صيف ١٩٨٩، جلسنا طوال ثلاث ساعات على حائط المتنزه ننظر الى نهر الراين. قلت له يومذاك: "يجري هذا النهر الى البحر، ولا يمكن وقفه. ولو سدّ مجراه لفجَّر الماء ضفتيه، لكنه سيجد طريقه أخيراً الى

---

(١) Reichstag مبنى البرلمان الالماني في برلين حتى العام ١٩٤٥، والذي اكتسب صفته الرسمية مجددا بعد توحيد الالمانيتين.

PHOTO: JB PICTURES / JOHN NORDELL

البحر. وكما يتدفق الراين الى البحر، هكذا، بالتأكيد، ستتحقق الوحدة الالمانية والاوروبية."

وتذكرت تلك اللحظة عندما تجمّع أكثر من مليون من مواطنيَّ حول مبنى الرايشستاغ في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠. كانت لحظة رائعة مع أنني كنت أعي تماماً المشاكل الهائلة التي ستتطلب حلولا بعد الوحدة.

علاقات ألمانيا

س. يزعم عدد من النقاد أن علاقات ألمانيا مع الشرق هي، بالنسبة اليك، أهم من التزاماتها حيال الغرب. هل من خطر في أن تصير ألمانيا معزولة عن الغرب؟

ج. ان الذين يزعمون ذلك هم اما جهلة واما سيئو النية، وفي كلتا الحالين تصعب محاورتهم بالعقل.

لقد فزت في انتخابات البوندستاغ[٢] في مارس (آذار) ١٩٨٣ بسبب موقفي من بعض الامور ومنها نشر صواريخ أمريكية متوسطة المدى في ألمانيا. وكان الهدف الاساسي من هذا النشر ترسيخ دعائم حلف شمال الاطلسي ووقف تعاظم التسلح السوفييتي. وقد تظاهر مئات الالوف من الالمان آنذاك احتجاجاً على هذه السياسة. وذات صباح، بينما أنا عائد الى منزلي في الطائرة التي نقلتني من باحة المستشارية، تجمع نحو ٣٥٠ ألف شخص على ضفتي الراين في تظاهرة احتجاج اتهمتني بأنني أتبع سياسة ستؤدي الى الحرب. وحين يرى المرء ذلك العدد الضخم من الناس، يتساءل: "هل من الممكن أن يكونوا جميعهم على خطأ وأنا على صواب؟"

لكن اقتناعي كان راسخاً بأن العلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة شرط للسلام والحرية في بلدنا وفي القارة الاوروبية كلها. كان علينا، ببساطة، أن نوضح للقيادة السوفييتية انها لا يمكن ان تذهب أبعد من تلك الحدود. ولذا من الخطأ أن يشكك أحد في سياستي الملتزمة روابط ثابتة مع الغرب ومع التحالف الاطلسي.

أما بالنسبة الى أوروبا، فقد كنت طوال حياتي السياسية - وأنا أتعاطى السياسة منذ أيام الدراسة - أنظر الى وحدة ألمانيا والى توحيد أوروبا على أنهما هدفان مترادفان ووجهان لعملة واحدة. وخلال سنواتي التسع في منصب المستشار الاتحادي، عملت أكثر من معظم القادة على دعم المسألة الاوروبية. وفي ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٢ سنحقق "السوق الاوروبية الواحدة." وفي مؤتمر قمة المجموعة الاوروبية الذي سينعقد في ماستريشت في ديسمبر (كانون الاول) سنقر اتحاداً اقتصادياً ونقدياً، واتحاداً سياسياً كذلك. ان القوتين الرئيسيتين الدافعتين وراء هذا التطور هما الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران وأنا.

يعتقد البعض أنني أنفق مالا كثيراً

---

(٢) Bundestag مجلس النواب الالماني الغربي قبل اعادة توحيد المانيا.

المستشار الالماني هلموت كول بين رؤساء تحرير الطبعات الاوروبية للـ"ريدرز دايجست" ومعهم جون د. بانيتزا مدير تحرير الطبعة الامريكية.

على عملية التطور الاوروبي، لكن الالمان هم الذين يحصدون الفائدة العظمى من الاسرة الاوروبية. اذ سيذهب ما بين ٥٥ و٦٠ في المئة من صادراتنا الى دول المجموعة الاوروبية هذه السنة، ومن الطبيعي أن تتحمل الدولة الاقوى اقتصادياً والمنتفعة الاولى، الحصة الكبرى من الاعباء.

توحيد أوروبا

س. أي دول تتوقع أن تنضم تالياً الى المجموعة؟

ج. انني أتوقع أن تنضم أسوج (السويد) – كما النمسا – الى المجموعة سنة ١٩٩٥، وأتكهن أيضاً بأن تطرح هذه المسألة بقوة في نروج، بعد انضمام أسوج. وأفترض أن يبدأ الجدل نفسه في فنلندا أيضاً.

وعند منعطف القرن نكون دخلنا حواراً مع تشيكوسلوفاكيا وبولونيا والمجر (هنغاريا). وأستشرف أوروبا موحدة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً بتعداد سكان ينيِّف على ٤٠٠ مليون بحلول السنة ٢٠١٠.

س. سيدي المستشار، يخشى بعض الاوروبيين، ولاسيما نحن البريطانيين، أن تكون لالمانيا تحفظات من تعجيل وتيرة توحيد أوروبا ومن تعميم نقد أوروبي موحد. فهل هذا صحيح؟ واذا كان كذلك، فلماذا تلزم ألمانيا الصمت؟

ج. لقد أنجزنا تقدماً ملحوظاً في الاشهر الاخيرة. وبوشر عقد المؤتمرات الحكومية المشتركة حول الوحدة الاقتصادية والنقدية، والوحدة السياسية كذلك، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠. وتقدمنا خلال تلك الفترة في مجال الوحدة الاقتصادية والنقدية أكثر مما تقدمنا في مجال الوحدة السياسية. لكننا، نحن الالمان، نعلق أهمية خاصة على تحقيق نتائج مرضية في مجال الوحدة السياسية

PHOTO: PRESSE-UND INFORMATIONSAMT DER BUNDESREGIERUNG, BUNDESBILDSTELLE, BONN

أيضاً. لقد تكوّن لدي أنطباع بأن هناك اختلافاً أكبر في الرأي في بريطانيا حيال هذا الموضوع، مما نجد هنا. اذ ان كل الاحزاب الالمانية الرئيسية تحبذ الوحدة السياسية كما الوحـدة الاقتصاديـة والنقدية.

س. قد تضعف معدلات الفائدة المرتفعة في ألمانيا اقتصادات أوروبا. ألا تشعر ألمانيا ببعض المسؤولية عن مساعدة جيرانها في مكافحة البطالة؟

ج. تدل معدلات الفائدة الى أن لدينا مصرفاً مركزياً مستقلا لا يخضـع لتوجيهات الحكومة، والتزامه الوحيد هو ضمان الاستقرار النقدي. ويجني جميع الذين اعتمدوا المارك الالماني قاعدة للتعامل، في أوروبا، فوائد كبرى نتيجة استقلالية مصرفنا المركزي وسياسته الحكيمة وبعد نظره.

اننا نواجه مشاكل موقتة لاننا نمول عملية التوحيد الالمانية ونساهم أكثر من أي بلد آخر في عملية التنمية في أوروبا الشرقية. كلا الامرين مكلفان، لكنني متفائل بمردودهما. وللمقـارنة، بلغت المساعدات الامريكية لالمانيا في اطار "مشروع مارشال" ٨٠٠ مارك ألماني (٥٠٠ دولار) للفرد، بينما نكون نحن أنفقنا خلال الاشهر الثمانية عشر الممتدة حتى الميلاد (٢٥ ديسمبر ١٩٩١) ٦١٠٠ مارك ألماني (٣٧٥٠ دولاراً) لكل فرد من ١٦ مليوناً في الاقاليم الاتحادية الجديدة وحدها.

ان انفاقاً حكومياً كهذا يساهم في ارتفاع معدلات الفائدة، لكن شركاءنا في المجموعة الاوروبية - كذلك الذين خارجها - يجنون فوائد ضخمة نتيجة توحيد ألمانيا. لقد ازدادت صادرات جيراننا الينا بنسبة ٢٠ في آلمئة في الاشهر الستة الاولى من هذه السنة (١٩٩١).

سياسة الدعم

س. ثمة مفاوضات تجارية دولية، مثل "غات،"[٣] مهددة لان المجموعة الاوروبية غير مستعدة للحد من سياسات الدعم والاعانات المالية. هل تؤيد رفع كل أنواع الدعم؟

ج. ان نجاح جولة مفاوضات "غات" هذه السنة مهم لنا جميعاً - للامريكيين، وللاوروبيين، وخصوصاً لدول ما يسمّى العالم الثالث المنسية عادة. اننا نخفض الدعم في القطاع الزراعي، ولكن تبقى هناك فروق بين الزراعة في الولايات المتحدة وأوروبا وضمن دول المجموعة الاوروبية. فهناك نحو ١١ مليون مزارع في أوروبا، وأقل من ثلاثة ملايين في الولايات المتحدة. وتبلغ مساحة المزرعة المتوسّطة في بريطانيا ١٥٠ هكتاراً، بينما لا تتجاوز ١٥ هكتاراً في المناطق الغربية من ألمانيا. وليس من السهل تسوية هذه الفروق، لكنني أعتقد أننا نسير في اتجاه صحيح.

ستتسبب سياسة حماية المنتجات

(٣) «GATT» وهو الاتفاق العام للتعريفات والتجارة.

الوطنية في كارثة لنا جميعاً. فكلنا في حاجة الى أسواق مفتوحة، وقوة الاقتصاد الالماني تكمن، الى حد بعيد، في أننا استطعنا دائماً مواجهة المنافسة.

س. هل ينطبق ذلك أيضاً على سياسة دعم القطاع الصناعي في كل دولة؟

ج. أود هنا التمييز بين الدعم المالي الموقت والآخر الدائم. فاذا استخدمت المعونة لاطالة أمد وضع معين لا جدوى منه اقتصادياً، فتلك في رأيي سياسة خاطئة. لكننا ملزمون حالياً تقديم معونات الى المناطق الاتحادية الجديدة والا فكيف نقوِّم اقتصاداً أسيئت ادارته كلياً؟

اذا زرتم مناطق الصناعة الكيميائية في ساكسوني - انهالت، فستعاينون وضعاً بيئياً كارثياً، لأن النظام البائد لم يفعل شيئاً للبيئة طوال ٤٠ سنة، ولن تستثمر الشركات أموالا هناك قبل أن تنظف المواقع. وكل الذين يرغبون في الاستثمار يقولون ان ذلك يجب أن يتم بتمويل حكومي، وهم على حق. وسيعود ذلك بالفائدة على المجتمع عموماً، لان كل انسان معرض للخطر من هذه الارض الملوثة، وليس الشركات الجديدة فقط. ويمكن اعتماد هذا المبدأ في كل الحقول تقريباً.

س. سيدي المستشار كول، هل تشارك الاوروبيين في مخاوفهم من هيمنة اقتصادية يابانية؟

ج. انني من محبذي الاسواق المفتوحة، ولا أفهم المخاوف القائمة بسبب الاجتهاد الياباني. لست "معقداً" من اليابانيين. انهم شعب مجتهد وذكي، لكنهم لم يوهبوا عقلا أكثر منا. واذا استخدمنا عقلنا فستتوافر لنا الفرص نفسها.

مشاكل أوروبية

س. الناس قلقون أيضاً من تنامي نفوذ ألمانيا ومن مركزها المهيمن داخل المجموعة الاوروبية ومن علاقاتها مع أوروبا الشرقية. هل هناك مبرر لهذا القلق؟

ج. يمكن فهم بعض هذا القلق تماماً. فنحن في موقع جغرافي سياسي فريد، لاننا محاطون بأكبر عدد من الجيران في أوروبا ولقراراتنا نتائج مباشرة عليهم. في الواقع هناك أوروبيون أكثر مما يظن الناس عموماً، سعيدون باعادة توحيد ألمانيا، لان غالبية الشعوب الاوروبية أدركت أن تقسيم ألمانيا كان رمزاً لتقسيم أوروبا أيضاً. ولكن يجب ألا ننسى مشاعر شعوب هولندا واللوكسمبور وبولونيا حيث خلفت النازية دماراً مرعباً. قد تكون هذه المشاعر مجحفة، ولكنها موجودة.

ثم هناك أولئك الذين يتحدثون عن مخاوف، وحقيقة مشاعرهم حسد من نجاح المانيا اقتصادياً. في أي حال، يعتقد كثيرون أن الالمان مجتهدون - مع أنهم لم يعودوا يرهقون أنفسهم بالعمل -

وما لقي الاجتهاد مرة ارتياحاً واسعاً. واذا اشتكى الناس من أن الالمان أقوياء جداً، فكل ما أستطيع قوله: "ساعدونا اذاً! دعونا نضع سقفاً أوروبياً لهذه القوة!"

س. لكن هذا السقف الاوروبي سيغطي أيضاً أجانب من خارج المجموعة الاوروبية، ويتوقع تدفق مزيد من المهاجرين، في حين يتنامى التوتر العرقي والاثني. فكيف تستطيع أوروبا مواجهة هذا الوضع الصعب؟

ج. بادراك حقيقة أننا لسنا قارة مفتوحة للهجرة. إننا نحتاج الى قانون أوروبي موحد خاص بالهجرة واللجوء مبني على مبدأ أن كل من يعاني اضطهاداً في بلده لاسباب سياسية أو عرقية أو دينية مقبول هنا من دون شروط. لكننا لن نستطيع حل مشاكل سري لانكا بالسماح للبعض باحضار سري لانكيين على متن طائرة "جامبو" وانزالهم في فرنكفورت والقول لهم: "ستتولى الدولة الالمانية الاهتمام بكم." علينا أن نساعد الناس في بلادهم بحيث يقررون البقاء بها. لا يمكن أن تكون سياسة حكيمة تلك التي تضطر الناس في أنحاء العالم الى ترك أوطانهم بدافع الفقر وطلب اللجوء الى مجتمعات ذات ثقافة غريبة عنهم.

س. ما هي الاجراءات التي ترتئيها لمكافحة الجريمة المنظمة في أوروبا؟

ج. تمثل هذه المشكلة تحدياً هائلا. ويقلقني أن أوروبيين كثيرين – بمن فيهم الالمان – لم يدركوا بعد أبعاد مافيا المخدرات الدولية. يملك هؤلاء المجرمون رساميل ضخمة، وتبلغ مداخيلهم السنوية ٣،٦ مليارات مارك (٢،٣ مليار دولار) في ألمانيا وحدها، وهم يستخدمون أساليب ذكية لـ"تبييض" أموالهم[٤] المتدفقة الى أوروبا، وخصوصاً الى الدول الغنية مثل ألمانيا. ان المستوى الذي وصلت اليه مافيا المخدرات في الابتزاز والرشاوى يشكل خطراً مرعباً.

حضضت دول المجموعة الاوروبية تكراراً على انشاء قوة شرطة مشتركة مزودة أحدث المعدات وأكثرها تطوراً ومخولة العمل عبر الحدود الدولية لمواجهة مافيا المخدرات بكل الوسائل القانونية المتاحة. وقد تقررت خطوة أولى في هذا الاتجاه في قمة المجموعة الاوروبية في اللوكسمبور.

أما على المدى الطويل، فانني أحبذ وضع قوانين لمكافحة الجريمة المنظمة على مستوى أوروبا كلها، كما أؤيد انزال عقوبات قاسية بالمهربين ومصادرة كل ممتلكاتهم. يجب أن نضرب هؤلاء الناس حيث تكون الضربة موجعة. ان الوقت يدهمنا في حربنا عليهم.

س. تواجه أوروبا آفة أخرى هي التلوث. هل علينا أن ندفع ثمن النمو الاقتصادي بتدمير البيئة؟

---

(٤) التبييض يعني تصريف الاموال غير المشروعة بوسائل تضمن اخفاء مصادرها.

ج. كلا، خصوصاً أننا بتنا ندرك أن من الخطأ - حتى من وجهة نظر اقتصادية ومالية - أن نؤذي البيئة. ان نوعية مياه نهر الراين، مثلا، هي الآن كما كانت في العام ١٩٣٠. انني لا أثق بالنشرات الرسمية مقدار ثقتي بالسمك الذي يسبح هناك، وقد عاد السمك الى النهر. انني أذهب الى هناك خلال عطل نهاية الاسبوع وأتنزه على ضفة الراين وأحس سعادة غامرة عندما يقول لي الصيادون: "لقد عاد هذا النوع من السمك، ونحن لم نره منذ سنوات!" وسيأتي يوم تصبح السباحة ممكنة ثانية في مياه الراين.

لكن عملية التنظيف هذه كلّفت أكثر من ١٠ مليارات مارك (٦ مليارات دولار) في العقود الاخيرة. ونحن اليوم أذكى قليلا، اذ لم نعد نسمح بتلويث مياه الراين. والى ذلك، ساهمت التقنيات التي طورت أثناء عملية تنظيف النهر في جعل ألمانيا رائدة في تكنولوجيا البيئة التي يمكن تصديرها الى أنحاء العالم. بكلام آخر، يمكن أن تؤدي السياسات البيئية السليمة الى فوائد اقتصادية ملحوظة.

س. بعد زوال تهديد حلف فرصوفيا، هل تعتقد أن حلف شمال الاطلسي بات ترفاً لا ضرورة له؟

ج. لا، قطعاً. سنظل في حاجة الى حلف شمال الاطلسي للدفاع عن مستقبلنا. هناك سوء فهم لاهداف هذا الحلف. فهو، منذ تأسيسه، لم يحمل مضامين عسكرية، بل سياسية. ان حلف شمال الاطلسي هو، في جوهره، اتحاد أمم تتشارك في الايمان بقيم واحدة، أما المظهر العسكري فقد أضفي عليه عندما تحالفت هذه الدول في دفاع مشترك.

سنظل في حاجة الى الجيوش مستقبلا، مع أن عديدها سيخفض، لان الجيش ضروري لضمان حرية الدولة والحفاظ على سيادتها. لذا ناقشنا، خلال مؤتمر قمة الحلف في روما في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١، استراتيجية تتوافق والوضع الجديد. لكن الحلف باق.

نعمة العائلة الكبيرة

امضى الممثل الامريكي ميل غيبسون سني حداثته في بلدة بيكسكيل بولاية نيويورك، وعاش "كما لو كان يحلم." لم يكن نجم فيلم "هاملت" يوماً كشافاً او لاعباً في فريق رياضي. وما يتذكره بارتياح هو ذلك الشعور المفعم بالغبطة الذي تمنحه الحياة العائلية: زيارة دكان مثلجات، تسلق أشجار، قفز بين التلال. ويضيف غيبسون، وهو السادس بين احد عشر شقيقاً وشقيقة: "كنت امضي معظم الوقت مع ثلاثة من أشقائي لتقاربنا في العمر. وكنت واثقاً بأنني سأجد طريقي الخاصة يوماً وأنجح في مضمار ما." وهو يعتبر هذا التوازن من حسنات العائلات الكبيرة. وغيبسون نفسه أب لستة. يقول: "انه امر رائع، فالمرء يدرك أنه لا يحصل على كل شيء. انه يحظى دوماً بما يحتاج اليه، لكنه لا يحظى دوماً بما يتمناه، كما يتعلم الا يبالغ في الزهو."

ج.ل.

احذروا الدجّالين!

الرأي العام متخم بنصائح صحية مربكة ومتناقضة. فكيف نميز بين الحقيقة والتضخيم؟

نتمتع في هذا العصر بحياة أطول وأكثر عافية، ومع ذلك تطالعنا عناوين اخبارية منذرة بالسوء: "الباحثون يربطون بين مادة الالمنيوم ومرض ألزهايمر." "ثمة صلة بين القهوة وارتفاع معدل الكولسترول." وبسبب النشرات المنذرة، الغامضة أحياناً، تتحول الهموم الصحية الصغيرة أخطاراً كبيرة، وتخمينات الوقاية من المرض وسائل شافية "مضمونة."

ويعزى جزء من المشكلة الى أن وسائل الاعلام كثيراً ما تذهب بعيداً في التنويه بنتائج أبحاث على أنها انجازات طبية كبرى.

ففي مؤتمر صحافي عقد عام ١٩٨٥، أبلغ ثلاثة علماء فرنسيين الى المراسلين أن العقار "سيكلوسبورين" يبدو فاعلا في وقف نمو فيروس "الايدز." واستندوا في اعلانهم الى مراقبتهم اثنين من مرضى "الايدز" أخضعا للعلاج مدى ثمانية أيام. ومن غير التفات الى غياب أي دراسة فعلية، بدا الاعلان كافياً لوسائل الاعلام وتصدر عناوين الصحف في العالم.

وتوفي أحد المريضين في غضون أيام، وتبين أن السيكلوسبورين لم يكن ذلك الدواء العجائبي الناجع.

ويؤدي الجسم الطبي دوراً بارزاً في الترويج لمثل هذه الاخبار. وتلقى الدعاية تشجيعاً من الجامعات والمستشفيات والمراكز الطبية (الساعية الى الحصول على منح مالية). ويطلق أهل الطب أحكاما عامة استناداً الى دراسات محدودة، ويروجون لعلاجات جديدة مطلوبة، مستعينين لذلك بتأثير الاحصاءات في الرأي العام، بصرف النظر عن قيمتها العلمية. وبسبب هذا التضخيم في الترويج، بات كثيرون من الناس عاجزين

CONDENSED FROM «HEALTH FACT, HEALTH FICTION,» COPYRIGHT © 1990 BY ROBERT L. TAYLOR, M.D., PUBLISHED BY TAYLOR PUBLISHING CO., DALLAS, TEXAS

عن ادراك صدقية التحذيرات الصحية والادوية "الشافية." كتبت الصحافية الين غودمن: "ماذا تعلمت؟ أن لا أركض كفاية، فأموت شابة بنوبة قلبية؟ أم أن أبالغ في الركض فأموت من دون أن أخلق ذرية؟ ان الرأي العام متخم بنصائح ومعلومات صحية مربكة ومتناقضة."

هنا خمسة ارشادات حكيمة تساعدكم على التمييز بين الحقيقة والوهم:

١. افهموا الارقام. أشار الكاتب الامريكي الفكاهي مارك توين الى أن "ثمة ثلاثة أنواع من الكذب: الكذب، والكذب اللعين، والاحصاء." ويصحّ هذا القول غالباً في المزاعم الصحية المفرطة، اذ يلجأ الصحافيون باستمرار الى خدعة احصائية تعرف بـ"الخطر النسبي" وهو اختزال يلخص بدقة احتمالات اصابتك بمرض معين.

والمؤسف أن الخطر النسبي يمكن أن يفقد الاشياء اتساقها، لانه لا يبرز الا نصف الحقيقة. وقد حدث ذلك حين حذر مسؤولون في الحكومة الامريكية شاربي الحليب غير المعقم من خطر تعرضهم لالتقاط الجرثومة (البكتيريا) القاتلة "سلمونيلا دوبلن" أكثر ١٥٠ مرة من أولئك الذين يتناولون الحليب المعقم.

ولكن فاتت المسؤولين الاشارة الى مدى احتمال التقاط الجرثومة من الحليب غير المعقم، وهو احتمال ضئيل جداً الى حد لا يستحق اثارة الذعر.

فاذا كانت احتمالات اصابتكم بعلة ما ضعيفة جداً - حتى إن زادت عشر مرات على احتمال اصابة سواكم - فلا تقلقوا للأمر ولا يضنينكم الارق.

٢. اعرفوا محدودية الدراسات الطبية. غالباً ما تكون الدراسات الطبية محددة على نحو ضيق جداً تنتفي في اطاره فائدة تعميمها. ومثال ذلك دراسة نشرت في "أميريكان جورنال أوف إبيدميولوجي" جاء فيها: "هل تشكل الزوجة المثقفة خطراً على صحتك؟" واذ وجد الباحثون ترافقاً بين رجال تزوجوا نساء مثقفات ونسبة مرتفعة من الموت المبكّر، ادعوا أن الزوجات المثقفات يدفعن أزواجهن التعساء الى القبر.

ولكن يظهر أن لا قيمة لهذا الاستنتاج. فالرجال الذين يختارون زوجات مثقفات يتمتعون، على الأرجح، بخصائص مميزة أخرى تساهم في دفعهم الى حتف مبكّر، كمسؤوليات عمل ضاغطة ترهق صحتهم وكيانهم. ولا سبيل الى معرفتكم كل ذلك في غياب مزيد من المعلومات.

اذاً، كيف السبيل الى الانتقال من النظرية الى الحقيقة الثابتة؟

ببطء، ومن طريق تراكم الادلة الدامغة تدريجاً.

شغل كويلر هاموند منصب كبير اختصاصيي علم الاوبئة في الجمعية الامريكية للسرطان أكثر من ثلاثين سنة. وكانت دراسته لنحو ١٨٨ ألف رجل، التي وضعها بالاشتراك مع دنيال هورن ونشرت عام ١٩٥٤، الاولى تقيم تلازماً

وثيقاً بين التدخين وسرطان الرئة. وكشفت الدراسة أن المفرطين في التدخين يتعرضون للاصابة بالمرض ٢٠ مرة اكثر من الذين لا يدخنون. وتبع ذلك مزيد من الدراسات التي أثبتت أن سرطان الرئة ينمو حيث تتجمع المواد المسرطنة المحتواة في الدخان.

واستناداً الى نتائج هذه الابحاث الجبارة تخلى ملايين الامريكيين عن التدخين. وهذا بلا شك انتصار كبير للبحث الطبي المسؤول، لكنه يذكّرنا بمدى صعوبة اثبات الحقائق الطبية.

٣. تقبلوا فرادتكم. لا توضع الدراسات الطبية استناداً الى وضع ميكانيكي معين في الاربعين من عمره يعيش مع ولديه المراهقين في بلدة صغيرة، بل هي تتناول، على الارجح، أشخاصاً متوسطي الاعمار يقطنون مدينة كبيرة. وقد يفقد البحث أهميته حين يكون الناس الذين شملتهم الدراسة مختلفين عنكم.

ويمثل ذلك عقبة رئيسية في طريق تطوير استراتيجية صحية تقوم على البحث السريري. وعلى سبيل المثال، كان برنامج المعالجة الكيميائية لمريض بالسرطان يستند، ماضياً، الى دراسات عن مرضى ذوي أورام مشابهة. والمؤسف ان المعالجة غالباً ما كانت أقل فاعلية متى اختلف حال أحد المرضى اختلافاً بيناً عن حال الشخص "العادي" في الدراسة.

أما اليوم، فصارت معالجة أنواع فردية من السرطان ممكنة في بعض الحالات. فتنتزع خلايا خبيثة من الورم وتعرّض لعقاقير عدة بهدف تحديد العناصر المكافحة للسرطان التي تثبت فاعليتها في قتل هذا الورم المحدد.

هذه هي المقاربة الصحيحة التي يتعين عليكم اعتمادها لتقرير أي علاج أو أي نظام حمية يجب اتباعه. انكم، في أوجه كثيرة، تعرفون أنفسكم أفضل من أي طبيب. وعنـدمـا تختلف آراء الاختصاصيين وأحكامهم، اعتمدوا على حدسكم واتبعوا نصيحة الطبيب الذي تثقون به.

٤. كونوا ملمين بالسجل الطبي لعائلتكم. كان ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني الاسبق، يحب الاطعمة الدسمة والشراب الممتاز ويتحاشى النشاط الجسدي. ولو نحن أخذنـا بالبيانات الصحية الحالية لبان لنا أن تشرشل قضى قبل وفاته بوقت طويل. لكنه في الواقع عاش ليبلغ التسعين.

من جهة أخرى، حافظ آرثر آش، نجم كرة المضرب، على لياقة بدنية ممتازة ولم يتعاطَ التدخين. ومع ذلك عانى نوبتين قلبيتين ولمّا يتجاوز الاربعين.

فما تفسير هذا التناقض؟

الوراثة. ان ارثنا البيولوجي يهيئنا لالتقاط بعض الامراض ويحمينا من أمراض أخرى. والى الآن لا نملك طرقاً محددة لتقويم الاستعدادات الوراثية

للاصابة بمرض ما. وأفضل الدلائل الوالدان والاجداد والاشقاء والشقيقات والأعمام والعمات والاخوال والخالات. فاحترسوا اذا كان أحد الأنسباء الأقربين يعاني مرضاً ما. أما اذا كان أحد من أفراد عائلتكم لم يمت بمرض القلب قبل السن الخامسة والستين، فذلك مدعاة الى التخفيف من قلقكم.

٥. احذروا الدجالين. ان بعض مبالغات الباحثين تصبح أحياناً كذباً عارياً لدى وكلاء دجالين يسعون الى ربح سريع. وثمة كتب حول الحمية تصبح أكثر رواجاً بالايهام أن الحمية التي تتضمنها تشفي أمراضاً معينة أو تمنع الاصابة بها من طريق مضاعفتها فاعلية جهاز المناعة. لكن ثمة مشكلة واحدة، وهي أن أنظمة الحمية الخاصة لا تقوّي جهاز مناعة الجسم الى حد ملحوظ.

لا تقتنعوا بأحدث النصائح الصحية الا بعد التبصر في الاخطار المحتملة وفي الفوائد المفترضة. وبمقدار ما يكون التغيير المقترح في نمط حياتكم جذرياً، يجب أن تكون أسئلتكم أكثر الحاحاً. ثمة فارق واسع بين تناول بضعة أقراص من الفيتامين يومياً واتباع نظام حمية يقتصر على تناولكم فواكه بقية حياتكم.

فماذا تفعلون لتتمتعوا بحياة اكثر عافية؟

أولا، وظفوا طاقتكم في تمارين تعود عليكم بمردود صحي واضح. فاذا كنتم تدخنون، أقلعوا عن التدخين. واذا كنتم بدناء، أسقطوا عنكم تلك الكيلوغرامات الزائدة. واذا كان أحد الامراض يسري وراثياً في عائلتكم، احترسوا وحاولوا تخفيف امكانات الاصابة به.

ثانيا، ركّزوا اهتمامكم على الأمور التي تشعركم بالثقة بأنفسكم وبأنكم مفعمون بالحياة. فالعافية هي في حسن تنظيم أمور حياتكم وليست فقط في شعوركم باللياقة البدنية وفي عدد السنين التي تعيشونها. ومن الصعب أن تخطئوا الغاية اذا التزمتم نشاطات صحية. وستجدون الحياة حلوة.

الدكتور روبرت تايلور ■

خطبة غريبة

التقيت الرجل الذي أصبح زوجي عندما كنت أعمل أمينة مكتبة. كان يأتي كل أسبوع للاطلاع على أحدث المجلات. فاستلطفني واستلطفته.

وحضر ذات يوم، بعد سنة من اللقاءات، وبدأ يفتش في أدراجي. فسألته عما يبحث، فلم يجب.

أخيراً أخرج واحداً من الاختام التي أستخدمها في ترميز الكتب وقال: "لم أجد خاتم خطبة مناسباً. لذا سأكتفي بهذا!" وختم ظاهر يدي بأحرف كبيرة: "ممنوع التداول".

ر.ش.

FREDERIC REGLAIN

H. RAGUET / SYGMA

(فوق) متطوعون يوزعون الطعام.
(الى اليمين) "زبائن" يقفون في صف امام احد مراكز التوزيع.

مطاعِم المحبة

هنا يأكل الفقراء ويشبعون ويلقون وجوهاً باسمة وأيدي ممدودة لانتشالهم من عثرات الزمان

قبيل السابعة والنصف صباحاً يطأ جورج بليزو حرم مستشفى كبير في منطقة كرملين - بيسيتر من ضواحي باريس، ويتبع لافتات "مطاعم المحبة - استراحات المحبة"[1] المؤدية الى مبنى صغير.

وفي الداخل تغلب البساطة على المكان حيث تتوزع طاولات متداعية وكراس غير متشابهة. ويفضي مطبخ صغير الى مستودع مليء بالمعلبات وصناديق الكرتون.

يحمل جورج دفتراً وقلماً وينصرف

(١) Les Restaurants du Cœur, Les Relais du Cœur

الى التحقق من الحصص: ١٨٠٠ رغيف، ٣٠٠٠ علبة سردين، ١٢٠٠ فطيرة سمك، ١٠٠٠ شريحة لحم، ٥٠٠٠ برتقالة. وسرعان ما يكتمل شمل فريق العمل. هنا شاب قوي البنية ينبري الى انزال صناديق المعكرونة من شاحنة. وهناك معلم مدرسة يتكفل بتقطيع الخبز، وهنالك تقني متقاعد يصلح مصباحاً كهربائياً متدلياً من السقف ويتجاذب أطراف الحديث مع ربات بيوت يملأن أكياساً صغيرة رزاً. أما جورج فهو رجل أعمال متقاعد في الثانية والستين من العمر.

لكن هذا المكان ليس مطعماً عادياً رخيصاً. فبين العاشرة والنصف صباحاً والثانية عشرة والنصف بعد الظهر يوزع عشرات المتطوعين نحو ١٢٠٠ وجبة معلبة على عائلات جائعة و١٠٠ كيس غداء على مشردين. وهو ليس سوى واحد من ١٣٧٤ مركزاً تأسست في أنحاء فرنسا وامتدت فروعها الى بلجيكا. ويوزع المتطوعون البالغ عددهم ١١٤٠٠ ما معدله ١٦٠ طناً من الطعام يومياً على ٣٦٦ ألف "زبون" مسجلين وعائلاتهم. ويزيد عدد الوجبات الموزعة طوال أشهر الشتاء الثلاثة على ٢٧ مليوناً.

أسس كولوش، الممثل الفرنسي الهزلي الراحل، هذه الحركة عام ١٩٨٥. وبفضل تغطية اعلامية كبرى ودعم شعبي عارم توسع نطاقها من مراكز قليلة الى شبكة فاعلة انتشرت في البلاد كلها وحظيت بتأييد شخصيات نافذة أمثال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران والرئيس السابق فاليري جيسكار ديستان ووزير الموازنة ميشال شاراس. وخصها نجوم سينمائيون، أمثال جيرار ديبارديو وعمر الشريف، بالوقت والمال والموهبة، وشارك كثيرون منهم في برامج فنية خيرية أُرصد ريعها لدعم هذه الحركة. وأظهر استطلاع للرأي أن ما يزيد على سبعة فرنسيين من أصل عشرة أبدوا استعداداً للمساهمة في نشاطاتها، مما يؤكد أن "مطاعم المحبة" هي احدى القضايا الانسانية الأكثر شعبية في تاريخ فرنسا.

والى حملة توفير الطعام للمحتاجين في فصل الشتاء، آثر ١٢٨ فرعاً منذ مارس (آذار) ١٩٨٩، تشريع أبوابها على مدار السنة وتوسيع خدماتها. وتمنح "استراحات المحبة" هذه روادها دعماً معنوياً وتقدم اليهم مشورة قانونية وتساعدهم في مجالات السكن والعمل. كما يؤمِّن بعضها برامج تدريب ومأوي موقتة. ويقول بول هودار رئيس هذه الشبكة الفرنسية: "ان توزيع الطعام لا يكفي. نحن نريد مساعدة الناس على النهوض من عثراتهم."

سيرة كولوش. لا تزال هذه المنظمة تحتفظ بلمسة مؤسسها كولوش الذي ثار على كل تقليد. ولد ميشال كولوتشي عام ١٩٤٤ في مونروج إحدى الضواحي الباريسية البائسة، وشب فيها وترعرع وعانى الفقر المدقع. وتوفي والده المهاجر الايطالي وكان بعد وأخته طفلين طريي

العود، فربتهما أمهما وخبرا الكفاح ضد الجوع والحرمان اللذين لم يهادناهما قط.

عمل كولوش بلا شهادات ولا تدريب في مجموعة وظائف مختلفة. وكان ذكاؤه يحاكي طباعه حدة. وفي العام ١٩٦٩، وكان في الرابعة والعشرين، ساهم في انشاء "كافيه دو لا غار"[٢] وهو ناد مسرحي فكاهي سرعان ما تحول مركزاً لصقل المواهب الناشئة. وفيه قدم كولوش للمرة الاولى مشاهد مسرحية عاصفة ساخرة على طريقة الكاتب الفرنسي فرنسوا رابليه، نمَّت شخصيته الفنية المتميزة. وهو مثل في عشرين فيلماً سينمائياً بين ١٩٦٩ و١٩٨٥ وأصبح أحد أغلى الممثلين الفرنسيين أجراً.

حقق كولوش نجاحه في وقت كان نظام الانعاش الاجتماعي الفرنسي يجهد لاحتواء مجتمع من المتبطلين، بمن فيهم "الفقراء الجدد" وهم أفراد الاسر الفرنسية المتوسطة الحال التي أصابها العوز. وكانت المناطق الشمالية والشمالية - الشرقية هي الاكثر تأثراً في الثمانينات بعد انهيار صناعتي التعدين والنسيج. ولم تكن حال الساحل الغربي بأفضل كثيراً، إذ أدى تقلص نشاط الحركة الملاحية الى ضعف الاقتصاد المحلي.

ذات يوم من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ تأثر كولوش برسائل وردت عليه من معجبين يناشدونه مساعدة عائلات جائعة. وأثناء تقديمه برنامجه الذي كان يبث مباشرة من اذاعة "أوروبا - ١"[٣] انحنى على المذياع وقال: "يتمّ اتلاف فائض المواد الغذائية للحفاظ على أسعار السوق... ربما نستطيع نحن انقاذ ما تبقى... وانشاء مطعم كبير... ربما هذا الشتاء... يقدم الطعام مجاناً."

وللحال انشغلت خطوط الهاتف في المحطة وبدأت الحوالات ترد في البريد. وكان هنري ناليه، وزير الزراعة آنذاك، استمع الى البرنامج عارفاً أن المستودعات ملأى فعلا بمخزون أغذية، بموجب السياسة الزراعية التي تتبعها المجموعة الاوروبية. وتسنى، بمساعدته، تحرير فائض الطعام، وجُند فريق من المتطوعين، وولدت "مطاعم المحبة."

اغتنم كولوش فترات البث خلال الأسابيع التالية لحشد دعم شعبي واستقطاب مسؤولين حكوميين. وعندما عرض اتحاد زراعي تقديم حمولة قطار من البيض، بشرط تأمين القطار، طلب كولوش علناً مساعدة وزير النقل جان أورو، وحصل عليها. وسرعان ما تدفق المتطوعون لنقل المواد الغذائية وخزنها وتوزيعها.

أكثر من طعام. بحلول ديسمبر (كانون الاول) بدأت حملة التوزيع الشتوية الاولى. واستخدمت شاحنات قُدمت الى المؤسسة في نقل فائض الاغذية، وما أضيف اليه من مساهمات فردية، الى نقاط توزيع موقتة شملت كنائس ومدارس وخيماً. وسارع الفريق العامل في المقر

---

(٢) Café de la Gare

(٣) Europe 1

الرئيسي في باريس الى وضع خطوط عريضة لمهمات المتطوعين في المراكز التي انتشرت عفوياً في أنحاء فرنسا وفي بلجيكا.

لكن كولوش أدرك أن هناك حاجة الى مبادرة أوسع وأشمل. وبدعم من نائب رئيس مجلس الشيوخ بيار - كريستيان تتينجيه، التقى كولوش عدداً من أعضاء المجلس واقترح عليهم مشروع قانون يمنح المساهمات الانسانية اعفاءات ضريبية. وأُقر هذا القانون عام ١٩٨٨ وعرف بـ"قانون كولوش" وهو يعفي كل الهبات التي يصل حجمها الى ٥٢٠ فرنكاً (نحو ١٠٠ دولار) من ٥٠ في المئة من الضريبة المقررة.

ولهذا القانون تأثير بالغ الاهمية في شبكة المراكز، لأن الواهبين من عامة الشعب يساهمون بما يزيد على ثلث دخلها الاجمالي السنوي. وقد بلغت قيمة مساهماتهم سنة ١٩٩١ ٤٥ مليون فرنك (نحو ٨ ملايين دولار). وقدمت المجموعة الاوروبية فائض أغذية بقيمة ٥٦ مليون فرنك (نحو ١٠ ملايين دولار) فضلاً عن المبالغ التي جمعها الفنانون (١٠ ملايين فرنك) والمساعدات الحكومية (٥ ملايين فرنك) لتجمع موازنة بلغت ١١٦ مليون فرنك (نحو ٢٠ مليون دولار). ويتألف فريق الادارة بكامله من متطوعين، باستثناء خمسة موظفين يتقاضون أجراً. وتكتفي الشبكة بسقف نفقات منخفض لا يتجاوز ٧ في المئة من موازنتها.

وعلى رغم انتقادات كولوش الحادة للمجتمع، وبداهته الساخرة، فجع الجميع بوفاته في حادث دراجة نارية عام ١٩٨٦. وتقول أرملته النشطة فيرونيك كولوتشي التي تولت زمام الامور بعده وهي اليوم الرئيسة الفخرية للمنظمة: "روح كولوش لن تفارقنا أبداً."

ويضيف كريستيان وهو متطوع في الثانية والثلاثين عاطل عن العمل يساعد في افراغ المؤن في مركز كرملين - بيسيتر: "لقد حقق كولوش انجازاً رائعاً. وما نجده هنا يتخطى الطعام... اننا نجد انسانيتنا."

أثر طيب. تأسست "مطاعم المحبة" على مبدأ أن كل من يطلب طعاماً يُعطاه، على أن تكون حاجته حقيقية صادقة. و"يغربَل" المرشحون وتسجل أسماؤهم. وفيما ينتظر معظم "الزبائن" في مراكز التوزيع للحصول على حصصهم الغذائية، يغتنم المتطوعون هذه اللحظات القليلة للتقرب منهم وكسب ثقتهم. ويقول روبير دوفلاندر مدير منطقة با - دو - كاليه في شمال فرنسا: "نكتفي خلال الزيارة الاولى بالابتسام والقاء التحية. ولكن عندما يعودون ثالثة ورابعة فانهم يبدأون افضاء القليل عن أوضاعهم. وحين تتوطد معرفتنا بهم نقول لهم: لدينا فكرة نستطيع العمل عليها معاً. وهكذا نساعدهم ليساعدوا أنفسهم."

ويوضح لوسيان ميرغاليه مدير "استراحات المحبة" الثلاث في مرسيليا، أن الفقراء الجدد لا يتمتعون

عموماً بسوى مهارات عملية بدائية، وهم، في خضم احساس مغرق بالفشل، عرضة لانهيار يمكن أن ينتهي بهم في فلك التشرد والمرض وتعاطي المخدرات والكحول، وحتى الموت. وكثيرون من هؤلاء، على غرار برتران، لا يزالون في مستهل حياتهم العملية.

بدا برتران متوتراً لدى وصوله الى المركز وعيناه حائرتان وقد حمل قبعته بيده. وباح هذا الشاب الأشقر القوي بسره، فقال انه يبحث عن عمل ولا يملك مالا لشراء طعام. ولمس لوسيان رغبة برتران في الحديث، فقدم اليه قهوة وراح يستدرجه الى الكلام.

ولد برتران في شمال فرنسا، وترك المدرسة وهو في السن الرابعة عشرة ليعمل في منجم فحم. ولما واجه ظروف العمل القاسية الشرسة والاحتمالات الضئيلة في التقدم، ترك المنجم والتحق بالجيش الفرنسي. وبعد خدمة ١٢ سنة تزوج ابنة عامل منجم وانتقلا للسكن في مرسيليا. وقررا تأسيس عائلة اعتماداً على راتب برتران الذي عمل حارساً والاجر الذي تتقاضاه زوجته من عملها مدبرة منزل، الى مساعدة سكنية حكومية.

لكن زوجته توفيت بعد سنة بداء السرطان، ووضع المنزل الحكومي في تصرف زوجين آخرين، ومرض برتران. ولما خرج من المستشفى بعد ثلاثة أشهر وجد نفسه بلا مأوى وبلا عمل. فبدأ حياة تشرد. وأخيراً وجد وظيفة اخرى كحارس في شركة، الى أن أغلقت هذه أبوابها. أما اليوم فيقول وقلبه مفعم بالامل: "لقد قُبلت في برنامج جديد لمدربي كلاب."

غادر برتران المركز محملا كيسين مليئين بالبقالة. ورددت جدران السلّم أصداء امتنانه الصادق: "شكراً! شكراً!" فاهتمام الآخرين به ترك أثراً طيباً في حياته. ويقول لوسيان ميرغاليه: "يقف برتران على قابي قوس من الضياع مجدداً. لكنه، بفضل المساعدة المستمرة التي يمده بها متطوعو المركز، سيتسلح بالشجاعة اللازمة للمضي قدماً."

هدف للبقاء. شكلت "مطاعم المحبة" في مرسيليا قبل خمس سنوات وحدة جوالة لتوزيع الطعام، بتحويل حافلة غرفة طعام متنقلة تصل الى مزيد من المتشردين. أما اليوم فتجوب حافلتان المدينة خمس مرات في الاسبوع وتقدمان الطعام الى ١٠٠ شخص كل يوم. وانتشرت هذه الطريقة، وباتت ٣٨ عربة تجوب أنحاء فرنسا لهذه الغاية، وهي، لبعض الناس، صلتهم الوحيدة بأشخاص آخرين. وتقول ماري سيسكو المتطوعة في حافلة تجوب باريس: "زبائننا لم يختاروا طوعاً سُكنى الشوارع، وهم ليسوا سعداء فيها."

لقد عرف كثيرون، أمثال أندريه، حياة منتجة وناجحة قبل تراكم الويلات عليهم ودفعهم الى الشارع. كان أندريه رساماً هندسياً، لكنه أصيب ذات يوم في حادث اصطدام، فسحقت رجله وبقي طريح الفراش في المستشفى طوال ثمانية

"مطاعم المحبة" في لبنان

بدأت "مطاعم المحبة" في لبنان عام ١٩٨٣ بعد عمليات تهجير واسعة شملت عدداً من المناطق اللبنانية. وافتتح أول مطعم مجاني داخل مبنى مدرسة في حي شعبي بضاحية سن الفيل، تحت شعار "أهلا وسهلا." وكانت سيدات متطوعات يطبخن في منازلهن ويأتين بالطعام الى المدرسة.

لفتت هذه البادرة صانعي خير فأنشأوا "جمعية أصدقاء مطاعم المحبة" برعاية رئيس الجمهورية السابق شارل حلو. وكان أول أعمالها بناء قاعة كبيرة في ملعب المدرسة في سن الفيل تستوعب ٥٠٠ ضيف. واليوم، بعد ثماني سنوات، بلغ عدد "مطاعم المحبة" خمسة وعشرين موزعة في مناطق مختلفة من لبنان. وهي تقدم الطعام يومياً الى أكثر من ٣٠٠٠ شخص، كما تقدم وجبة فطور الى نحو ١٢٠٠ تلميذ في أربع مدارس ابتدائية مجانية. وتنظم حفلات في مواسم الاعياد، وتقدم هدايا وأدوية ضرورية الى مرضى مسنّين.

فكيف يؤمن المال اللازم لتغطية تكاليف هذه المطاعم؟ تجيب السيدة انطوانيت قازان أمينة سر "جمعية أصدقاء مطاعم المحبة": "يساهم أعضاء الجمعية في جزء من الموازنة. وترد علينا تبرعات من مواطنين مقيمين ومغتربين. كما تأتينا، منذ أشهر، مساعدات عينية من جمعية التضامن الفرنسية - اللبنانية بالتعاون مع وزارة الزراعة الفرنسية." ويتبرع مواطنون بوجبة كاملة، ويشاركون ضيوفهم في تناول الطعام.تضيف السيدة قازان: "شعار مطاعم المحبة هو التضامن الاخوي والمشاركة بين الموسرين والمعوزين. هنا يجلسون الى مائدة واحدة، أغنياء وفقراء، شباباً وشيوخاً، ليتناولوا معاً لقمة طيبة."

يوسف عجوز في التسعين يختصر معاناة رواد "مطاعم المحبة" بكلمات بسيطة معبرة: "جنى العمر ضاع في لمحة بصر. لكننا، في مطاعم المحبة، وجدنا من يقدم الينا لقمة ودواء بحب وحنان."

مي عبود أبي عقل

الى الراغبين في المساهمة، ترسل التبرعات الى الحسابين الآتيين:
- الشركة الجديدة لمصرف سوريا ولبنان - رقم الحساب ١٩٠٠٥٠٣٠١٦١٤
- بنك ناسيونال دو باري (BNPI) - رقم الحساب ١٣٩٥٢١٨٩٣٠١

أشهر. وما كادت فترة نقاهته تنتهي حتى توفيت زوجته فجأة. فغلبه الحزن وحاول الانتحار مرتين الى أن انتهى في مستشفى للامراض العقلية. ولما غادره وجد نفسه في الشارع بلا عمل ولا مسكن. وأقسى من ذلك حرمانه رؤية ابنته، يقول: "اشتقت اليها كثيراً، لكني لا أريد أن تراني وأنا في هذه الحال."

تقول دومينيك نيسيم الناطقة باسم "مطاعم المحبة - استراحات المحبة": "ان لدى أمثال أندريه فرصاً كبيرة للنهوض من كبوتهم والعودة الى مجتمعهم اذا ما ساعدهم المتطوعون على تخطي كآبتهم والعثور على مسكن ثابت."

ولقد تعلم أندريه، من خلال احتكاكه بالفريق، أن الناس سيبتسمون له غالباً إن هو ابتسم. ويقول ممتناً: "أروع هدية ينالها المرء هي أن يبتسم له آخرون."

خصصت الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٨ معاشاً شهرياً من نحو ٢٠٠٠ فرنك (نحو ٤٠٠ دولار) لأولئك الذين لا دخل لهم أو ذوي الدخل المتدني أو الذين انتهت مدة افادتهم من تعويض البطالة أو الذين لم يعملوا قط. ويفيد الآن نحو ١،٢ مليون شخص من هذا المعاش، ومع ذلك يضيع كثيرون من الذين تحق لهم الافادة منه في تعقيدات المعاملات الادارية اللازمة، أو هم يجهلون وجود هذه المساعدة.

وبما أن المعاش خطوة أولى نحو الاندماج في المجتمع، فان ملء الطلبات للافادة منه هو وظيفة أساسية في "استراحات المحبة." وقد أعطى هذا المجهود نتائج جيدة: ففي المقر الرئيسي الاقليمي في بوي - دو - دوم بكليرمون فران وسط فرنسا وجد ١٨ مرشحاً من أصل ١١٠ وظائف ثابتة، فيما يعمل الآخرون في المركز.

وبمبادرة من لوي غير، المدير الاقليمي، جهز مركز كليرمون فران بمشاغل للخياطة والطبخ والتعليب والنجارة، واستحدثت فيه دورات تعليمية للقراءة والكتابة والحساب والتدبير المنزلي. وحولت الارض التي وهبتها البلدية بستاناً مساحته ١٨ ألف هكتار يعلَّب نتاجه في مشغل تابع للمركز، على أن يوزع لاحقاً على المعوزين.

بعد الغداء، انصرفت سيلفي البالغة من العمر ٢٣ عاماً الى تجفيف الصحون في مطبخ المركز. وهي قدمت الى المركز قبل ثلاث سنوات، وكانت شريدة جائعة. فبعدما فقدت والديها وهي طفلة، عانت الاهمال والاستغلال. ولما بلغت السادسة عشرة، وكانت أمية، عملت في فندق محلي. لكن صاحب الفندق كان يضربها، وهو رماها لاحقاً في الشارع. أما اليوم فقد منحها أصدقاؤها الجدد في المركز هدفاً للبقاء، وأتاح لها عملها المشاركة في مجتمع بدا كأنه نبذها ذات يوم.

دعم معنوي. في بلجيكا، تأسس "اتحاد مطاعم المحبة" عام ١٩٩٠، وهو شبكة ناشطة في المدن الرئيسية في المنطقة الناطقة الفرنسية. ويضم الاتحاد ٤٠٠ متطوع ويستقبل ١٠٠٠ زبون مسجل ويوزع اكثر من ٩٠ ألف وجبة طعام في كل حملة غذائية في الشتاء. وهو، على غرار نظيره الفرنسي، يلقى دعماً كبيراً من فائض الحصص الغذائية الخاصة بالمجموعة الاوروبية. ويقول جوزي هابار وهو عضو في البرلمان الاوروبي يرعى "مطاعم المحبة" الناشطة في مدينة لياج: "من الواجب وهب فائض المجموعة الاوروبية ما دام هناك أناس جياع."

أطلقت الشبكة الفرنسية عام ١٩٩٠ برنامجاً لاصلاح الشقق التي هي دون المعايير السكنية المطلوبة. وبتأمين بدلات الايجار سيتسنى للفريق وضع المحتاجين في مساكن ثابتة. ويلاحظ جاك ماربيت، مدير شبكة "باريس الكبرى"، أن أي شخص متمرس

ومستعد نفسياً للعمل لن يحصل على وظيفة ما لم يغتسل ويحلق ذقنه قبل اجراء مقابلة. ويضيف: "إذا أمَّنا له مكان اقامة، فذلك سيساعده على الانطلاق."

هذا النوع من الدعم يحقق الكثير. ولقد نجحت ميراي، وهي شابة قصدت مركز كرملين – بيسيتر، في الحصول على وظيفة ثابتة. وعبرت عن لسان حال كثيرين حين كتبت الملاحظة الآتية: "أنتم لم تقدموا الينا الطعام والشراب فحسب، بل رحبتم بنا بابتساماتكم وأسيتمونا في غمرة وحدتنا ويأسنا، فأثبتم أن الانسانية لا تزال موجودة وأعدتم الينا ثقتنا بأنفسنا."

دون كولوكيتاس ■

المعجب الاول

يروي السناتور وليم كون ممثل ولاية ماين الامريكية، وكان نجماً في رياضة كرة السلة، أن حبه لهذه الرياضة بدأ بتأثير من والده. فهو كان في السادسة من عمره حين بدأ والده اصطحابه الى المباريات. ومع الوقت صار الأب يقود سيارته مسافات طويلة لمشاهدة ابنه يلعب.

ويتذكر السناتور: "حين دخلت المدرسة الثانوية، صار أبي يحضر جميع التدريبات، فيسدي الي تعليمات صارخاً: "مرِّر الكرة!" أو "ارمِ الآن!" ولم يكن أي من الآباء الآخرين ليفعل ذلك، فكنت أشعر باحراج، خصوصاً عندما بدأ زملائي يتهكمون حول هذا الموضوع.

"أخيراً اعترفت الى أبي بأنني أتمنى أن يتوقف عن الحضور، فلم يبدِ استياء، وبدا أنه امتنع فعلا عن الحضور.

"وفيما كنت أتمرن ذات شتاء، داخلني شعور بأن أحداً يراقبني. التفتُّ الى نافذة هناك، فاذا أبي واقف خارجاً ينظر الى الداخل وقد غطاه الثلج. انفطر قلبي شفقة. ولم نتكلم في الموضوع البتة، لكنني منذ ذلك اليوم بتّ أتمرن وشعور يخالجني بأن أحداً في الخارج يتطلّع اليّ."

م.ا.

سكرتيرة نشيطة

عجلت سكرتيرتي الجديدة في طبع رسالة على الآلة الكاتبة، وقدمتها الي لأوقعها. وحين قرأتها لاحظت خطأ صغيراً في الطبع لم أبالِ به، فوقَّعتُ. لكن السكرتيرة اكتشفت غلطتها قبل أن تضع الرسالة في البريد، فعمدت الى تصحيح الخطأ، ثم وضعت الرسالة على طاولتي مرفقة بكلمة: "الرجاء اعادة توقيعها."

ر.ا.

نظرة متكابرة ووقفة أرستقراطية وقوة لا تلين. اعتبرت هذه الصقور، منذ القدم، رمزاً للحرية

تناهت الصرخة من علٍ، واندفع السهم الاسود المريَّش فوق حافة الجرف ثم اختفى هابطاً نحو الأرض في صيده الصباحي. ترى، متى يعود؟

وقفت على قنة الجبل التي تذروها الريح، فرأيت الانهر تحتي خيوطاً فضية، والبحيرات بقعاً أرجوانية. وبدت الهضبة في غابة سان خوان الوطنية، جنوب غرب ولاية كولورادو، فاتحة الاخضرار بأجمات القصعين والسنديان. وتراءت، في مستوى أعلى، غابات صنوبر البونديروسا الفيروزية تحدها منحدرات زرقاء من أشجار البيسية (الراتنجية).

فجأة دوى وقع كضربة سوط، كسيف يشق الهواء، تناهى من كائن منجليّ الشكل اندفع كسهم نحو قمة تشيمني روك[1] المكوَّنة من قبتين مستدقّتين من الحجر الرملي تعلوان منصة صخرية ضيقة طويلة. وتبعت الصوت صرخة، أجابتها أخرى. فرأيت، عبر المنظار، طائرين يتسابقان الى نقطة التقاء.

انقلب أحدهما ليلتقط شيئاً حمله الطائر الآخر. ثم استدار عائداً الى تشيمني روك حاملا ما جناه، فيما راح رفيقه يجوب الهواء دائراً فوقه.

مرة أخرى، أثارني مشهد أحد أسرع كائنات الأرض: الصقر الامريكي الجوَّال.[2]

اعتُبرت الصقور الجوَّالة، منذ القدم، رمزاً للحرية لما تتسم به من جمال وقوة وشجاعة. ولها، الى ذلك، نظرة كبرياء شرسة ووقفة أرستقراطية تضعانها في مصاف "أبطال" عالم الطيور. وهي تتميز بأجنحة طويلة مستدقَّة وظهور اردوازية الزرقة وصدور بيضاء ووجوه موسومة ببقع كهرمانية السواد كأنها خوذة على رأس له شكل رصاصة.

رد المعتدي. شوهد الطائران، أوائل السنة، يبنيان عشاً فوق تشيمني روك. وهما فردان من جنس معرض للانقراض، وآخر ستة أزواج من الصقور المتبقية

(١) Chimney Rock
(٢) Falco peregrinus

صقر

آنذاك في كولورادو. لذلك عينتني دائرة الحياة البرية في الولاية لمراقبة الصقور واقتراح حلول مناسبة للحفاظ عليها.

سَمَّيتُ الذكر آرثر، تيمناً بالعاهل البريطاني الذي أحب الصقور. وطبيعي أن أُطلق على أليفته اسم زوجة آرثر، جينيفر، أو جيني.

عندما وصلت الى هناك في أوائل يونيو (حزيران) كان الصقران فقسا أربع بيضات. وكانت جيني تبقى مع الفراخ معظم الوقت لحمايتها، فيما ينطلق آرثر باحثاً عن طعام.

وفي يومي السادس شاهدت آرثر يدور في الهواء على علو شاهق، ثم ينطلق كسهم نحو نسر ذهبي[٣] يفوق حجمه أضعافاً ليطرده من منطقة نفوذه. والنسور هي من ألدّ أعداء الصقور لأنها تدمر أعشاشها وتقتات صغارها أحياناً. واذ انقضّ آرثر على النسر، انقلب هذا على ظهره وأبرز مخالبه. فأمسك آرثر براثن خصمه غير هيَّاب، وهوى الاثنان على نحو لولبي. وما لبث النسر أن انفلت ليواصل اعتداءه متحدياً.

لكن الأمر لم يطل، اذ اندفعت جيني من العش لتنصر أليفها. وكمنجلين في حركة ثنائية، تناوب الصقران الهجوم، فانقلب النسر على جنبه مخافة أن يصيبه أحدهما، مما أتاح هجوم الصقر الآخر على جنبه المكشوف. وسرعان ما انكفأ النسر هارباً.

وقفت مشدوهاً أمام ما رأيت. لقد تجلّت في طيران الصقرين طاقة صرف كأنها انقضاض صاعقة حلّ بعدها هدوء.

(٣) Aquila chrysantha

الجبل

لم يُقهر! نمت الفراخ وكثّف آرثر وجيني صيدهما. وفي ٢٠ يونيو (حزيران) اختفت جيني. وازدادت خشيتي بمرور الايام اذ لم أجد لها أثراً. كنت أعلم أن زوجي الصقور يتلازمان لسنوات ولا يفترق واحدهما عن الآخر إلا خلال فترة وجيزة من فصل الشتاء. فالى أين ذهبت جيني؟

وبحلول ١ يوليو (تموز) بات آرثر غريب الاطوار، مقلّاً في الصيد، يهيم وحيداً لساعات بعد إطعام الصغار. وذات يوم سمعته ينادي أليفته بحنان: "اتشاب! تشاب!" فلا يلقى إلا تنهد الريح جواباً.

جثم آرثر منتصباً، وانتفض مديراً وجهه الى السماء، ثم انكمش على ذاته مطلقاً صرخة تحاكي عويل حيوان جريح. شقّت الصرخة عُنان السماء وردّدتها منحدرات الصلصال في الأسفل. كان ذلك حزناً لا ريب فيه.

في ذلك اليوم أبى آرثر مغادرة تشيمني روك. كذلك فعل في اليوم التالي. توقف عن الصيد وعن الأكل، وقبع في مجثمة على قمة الجرف، من الشروق الى الغروب، كأنه تمثال مهجور.

إن اختفت جيني فعلا فلن يتمكن آرثر من ايجاد بديلة منها قبل السنة التالية. وإن استمر منكفئاً عن الصيد، فلن يبقَ لصغاره أمل في الحياة.

اذذاك وجدت من الضروري مكالمة رئيسي. فقدت سيارتي مسافة ١٥ كيلومتراً الى مقهى "لوست كانيون" حيث أقرب هاتف. وعندما أنهيت المكالمة أمسكتني صاحبة المقهى من ذراعي سائلة: "هل سمعتك تقول انك ضيَّعت أحد صقورك؟"

أجبتها: "نعم."

قالت: "علمتُ ذلك! قرب منزلنا عمود هاتف كان يجثم عليه صقر كل يوم. وذات صباح لاحظت ريشاً متناثراً عند قاعدة العمود. أعتقد أن أحدهم قتله."

بدا الوضع في تشيمني روك ميؤوساً منه، اذ بقي آرثر مسمراً الى مجثمه لا يحاول حتى طرد النسور الروميَّة[٤] الحائمة فوقه. وفي التاسع من يوليو (تموز) اختفى آرثر. فخيل الي أنها النهاية.

وفجأة رأيته آتياً بالطعام!

بين ليلة وضحاها، تخلص آرثر من عقدته وبدا مقوداً بحيوية وعزم جديدين. وراح يعمل بلا انقطاع من الفجر الى العصر. وخلال الاسبوع التالي تحسن صيده على نحو ملحوظ. لقد نفض عنه اليأس ولم يُقهر!

تحت النجوم. في منتصف يوليو (تموز) لمحت فرخين يطلان من عشهما. فعلمت أن الفرخين الآخرين قضيا جوعاً. لكني كنت محظوظاً اذ وجدت عشاً تدب فيه الحياة. قدّرت من حجم الصقرين الصغيرين أنهما ذكران في أسبوعهما السادس. وكان جلدهما اكتسى رقعاً مضحكة من الزَغَب.

كان الاثنان لا يفترقان. فان درج أحدهما زحف الآخر وراءه. فما كان مني

(٤) Cathartes aura

إلا أن سميت الفرخ الشجاع بولد ليوبولد (أي ليوبولد الشجاع) وسميت ظلّه ألبرت.

بدا الاثنان على أهبة الطيران، اذ راحا يضربان الأرض بأجنحتهما ويقفزان صارخين من دون أن يجرؤا على الاقلاع. وبعد محاولات طيران خرقاء شجعهما آرثر على اللحاق به في تحليق بهلواني. وبانتهاء شهر يوليو (تموز) اتسعت ذخيرتهما من فنون التقلُّب والدوران والانقضاض، وكلها تقنيات معتمدة في الصيد.

نما ريش الصغيرين، وكانا يلهوان خلال فترات غياب آرثر عن الجرف. وكانت لعبتهما المفضلة التظاهر بتبادل الطعام في الهواء، بحيث يتماسكان بمخالبهما وهما طائران، ثم يهويان مدوِّمين نحو الأرض، وفي اللحظة الأخيرة ينفلتان مطلقين أصواتاً حادة كطفلين يركبان قطاراً أفعوانياً.

خلال الاسبوع الاول من أغسطس (آب) بدأ الصقران الصغيران ممارسة الصيد. وبانصرام الشهر شرعا يقضيان بعض الوقت منفصلين بحيث لم يعد واحدهما "يتكل" على الآخر إلا خلال الليل. وكان ألبرت لا يخلد الى النوم وحيداً. ومتى حلّ الغسق، كان يترك كل شيء ليجد ليوبولد، فيجثم الاثنان تحت النجوم ينتظران عودة آرثر.

صرخة آرثر. حل الاسبوع الثالث من أغسطس (آب) وغادر بولد ليوبولد، السبّاق دائماً، تشيمني روك ليبدأ ارتحاله الشتوي الى المكسيك. لا أدري ما كان شعور ألبرت ازاء هجران ليوبولد. فهو لم يُظهر رغبة في التزحزح، وكان في الامسيات يجثم قرب وكره كأنه ينتظر رجوع أخيه. وأخيراً رحل هو أيضاً.

ومع اقتراب الشتاء كان عليّ أنا أن أرحل بدوري. وإذ مشيت ببطء منحدراً عن الجبل، طالعتني صفحة تشيمني روك قاحلة سمراء محمرة بفعل أشعة شمس المغيب في منتصف سبتمبر (أيلول). وسمعت صرخة آرثر في البعيد. وعلمت أنه لا بد عائد الى هذا المكان مهما طال به العمر. فحب الصقر الذكر لمجثمه الجرفيّ هو الرابط الأقوى في حياته، يفوق حتى تعلُّقه بأليفته.

في الربيع التالي عاد آرثر الى دياره مع أليفة جديدة، سمّيتها ليدي، بقيت معه أربعة مواسم متتالية.

وذات عام لم يعد آرثر وأليفته الى تشيمني روك، فبقي عشهما غير مسكون. ويلاحظ مراقبون، منذ سنوات، صقوراً تحوم على ارتفاع شاهق فوق الهضبة من دون أن تحطّ، كأنها تحاول أخذ قرار ما.

أتراها تختار تشيمني روك؟

أتراها من سلالة آرثر؟

مارسي كوترل هول ■

كل انسان يشكو من ذاكرته، ولا أحد يشكو من آرائه.

فرنسوا دو لاروشفوكو، سياسي واديب فرنسي

اضواء من عالم الطب

التلفاز وانسداد الشرايين

▪ تفيد دراسة حديثة أن احتمال ارتفاع معدلات الكولسترول في الدم هو أعلى لدى الاطفال الذين يمضون اكثر من ساعتين يومياً أمام شاشات التلفاز منه لدى الاطفال الذين يمضون وقتاً اقل. وقد كانت الاوقات التي يمضيها الاطفال أمام التلفاز مؤشراً لارتفاع معدلات الكولسترول أصدق من مؤشرات خطرة كالسمنة والتغذية الدهنية واصابة احد في العائلة بارتفاع في معدل الكولسترول او بمشاكل في القلب.

في دراسة شملت ١٠٦٦ ولداً ومراهقاً، اكتشف الدكتور كيرت غولد وزملاء له في جامعة كاليفورنيا أن ٥٣ في المئة من الأحداث الذين سجلوا معدلات كولسترول عالية (٢٠٠ مليغرام) أفادوا انهم يشاهدون برامج التلفزة ساعتين او أكثر يومياً. ويوضح الدكتور غولد: "ولدى الاحداث الذين فاقت معدلات الكولسترول في دمهم المئتين، ترافق الافراط في مشاهدة برامج التلفزة مع تاريخ عائلي من النوبات القلبية أو الكولسترول العالي في تسع حالات من عشر."

ويرى الدكتور غولد أن مشاهدة عروض التلفزة لاوقات طويلة ترفع معدلات الكولسترول في الدم لانها تثبط الرغبة في التمارين الرياضية، ولانها تروِّج لأطعمة غير صحية عبر اعلانات تشجع الاولاد على تناول مأكولات سريعة اثناء مشاهدة العروض ليعودوا ويستهلكوا اطعمة عالية الدهنية لاحقاً.

نشرة "جمعية القلب الامريكية"

إنعاش المدخنين

▪ على المدخنين أن يتوقعوا قضاء وقت طويل جداً في غرفة الانعاش بعد خضوعهم لجراحة. هذا ما يشير اليه تحليل سجلات ٣٢٧ مريضاً أجريت لهم جراحات في مركز موناوث الطبي في لونغ برانش بولاية نيوجرزي. اذ أمضى ٧ في المئة من غير المدخنين اكثر من ساعتين في غرفة الانعاش، في مقابل ١٩ في المئة من المدخنين. وأمضى ٣٨ في المئة من غير المدخنين أقل من ساعة، في مقابل ٢٣ في المئة من المدخنين.

ويرى الدكتور ديفيد هاندلين، الاختصاصي بالتخدير الذي أجرى التحليل، دوراً هامشياً لعناصر كانت تعتبر مؤثرة في عملية الابلال، بما فيها نوع الجراحة ونوع المخدر والعمر والسمنة. ويوضح الدكتور هاندلين ان ردود فعل (ارتكاسات) الجهاز التنفسي لدى المدخنين قد تعود الى طبيعتها بسرعة أقل، كما أن هؤلاء ربما يكونون عرضة لانخفاض حاد أو ارتفاع حاد في ضغط الدم.

مجلة "فيزيشان ويكلي"

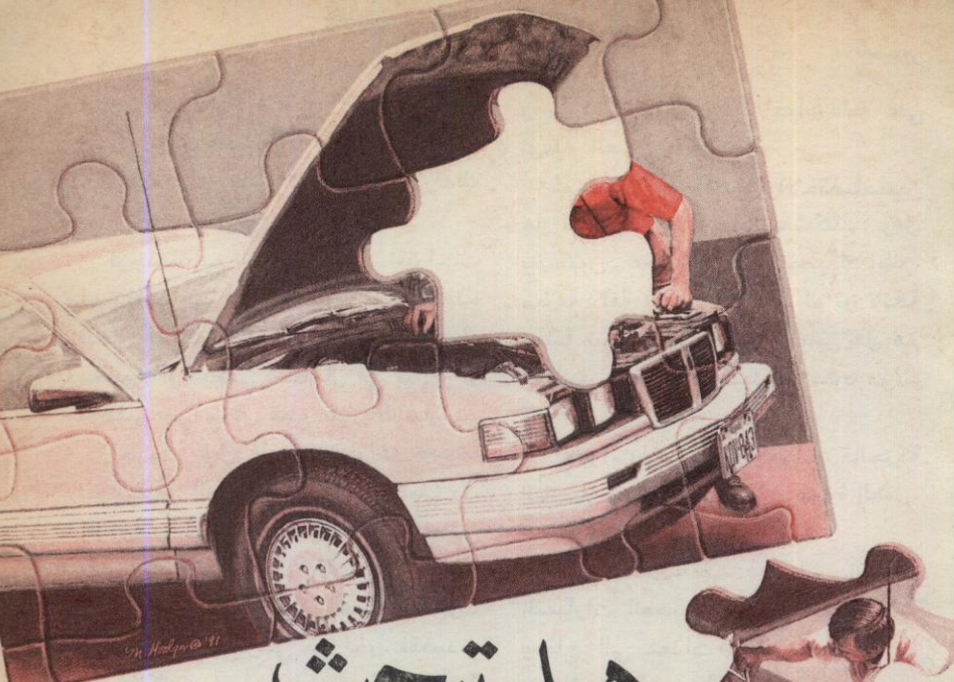

هل تبحث عن ميكانيكي نزيه؟

معلومات قيمة تجنبك الوقوع في شراك المرائب

يشبه أخذ سيارتك الى ميكانيكي زيارتك طبيب اسنان. فقد يكون الأمر موجعاً وأكثر كلفة مما كنت تحسب، وينتهي بك الى حال من الحذر. ولكن اذا عرفت كيف تميز بين مرأب جيد وآخر رديء، فيمكنك أن تحظى بخدمة نزيهة وكفية. اليك عدداً من النصائح في هذا السبيل:

١. تزود توصيات. حين كنت أكتب مقالات تتناول شؤون السيارات في صحيفة محلية، طلبت مرة من القراء تزويدي أسماء مرائب يثقون بها. ووضعت قائمة اخترت فيها ٤٥ ميكانيكياً ومرأباً وعرضتها مجاناً على كل

CONDENSED FROM «RIP — OFF TIP — OFFS: WINNING THE AUTO REPAIR GAME,» COPYRIGHT © 1990 BY TAB BOOKS, A DIVISION OF MCGRAW — HILL INC., IS PUBLISHED BY TAB BOOKS, BLUE RIDGE SUMMIT, PA. ILLUSTRATION: MIKE HODGES

من يرغب فيها، فتلقيت أكثر من ألف رسالة يطلب أصحابها القائمة. ولم يُبدِ أي منهم عدم رضاه لاحقاً. وقد عزز ذلك لدي قيمة النصيحة المخلصة.

لن تستطيع الاعتماد على اقتراحات أصدقائك متى كنت مسافراً. وفي هذه الحال يمكنك أن تفيد من رجال شرطة محليين أو موظفي استقبال في فنادق أو موظفين في محال قطع غيار السيارات.

أجريت قبل أربع سنوات مسحاً لمرائب في الولايات المتحدة، بتكليف من الـ"ريدرز دايجست." وتوقفت أثناءه في مقهى بجانب الطريق وطلبت من النادلة أن تدلني الى ميكانيكي جيد. فأشارت علي بواحد، وحذرتني من آخر. فقصدت الذي زكته وحصلت على خدمة احترافية نزيهة. ثم عرجت على الميكانيكي الذي حذرتني منه فواجهني بفاتورة فيها بدل خدمة وثمن قطع غيار لا حاجة بي اليها.

٢. تحقق من المرأب وكفايته. لا يمكن أي مرأب اجادة كل أنواع الاصلاحات. فلا تقصد مرأباً صغيراً متوقعاً اصلاح أجهزة قياس سيارتك، مثلا، أو معرفة عطل طارىء في محركها.

عاين المرأب أولا. هل هو نظيف ومنظم؟ ان المظهر يقدم أحياناً دليلا على نوعية العمل.

ثم تحدث الى المدير والاختصاصيين هل تلمس منهم اهتماماً بمشكلتك؟ وهل يضمنون عملهم بكفالة خطية؟ اطلب معرفة كلفة الاصلاحات إن لم تر لائحة معلقة تبين ذلك. واسأل الزبائن هل هم مواظبون. فمن المستبعد أن يعود هؤلاء الى المحل الذي غشهم.

أخيراً، راقب حركة المرأب، فالحركة الناشطة قد تدل على الثقة وجودة العمل.

٣. انتبه للعدة. إن اصلاح السيارات العصرية ذات التقنية العالية يحتاج الى معدات متطورة.

ولا بد، في مرأب ذي اختصاصات شاملة، من أن يكون لكل تقني عدة يدوية كاملة. ويستحسن أن تشمل معدات المرأب حفرة لضبط "ميزان" العجلات، وأخرى للتشحيم وتغيير الزيت، ورافعات هيدروليكية، ومخرطة لشحذ اسطوانات الكوابح، ومحللا لتشخيص أعطال المحرك.[١]

والمحللات الفضلى تختصر عمل مجموعة من الخبراء في تشخيص مشاكل المحرك. وعدد الرسائل التشخيصية التي يبثها المحلل دليل على مدى فاعليته. فمنها ما يبث ١٠٠ رسالة فقط، في حين أن الاجهزة الاكثر دقة تبث ما يصل الى عشرة آلاف.

(١) Engine analyzer

ذات مرة تعمدت احداث عدد من الاعطال في سيارة. فأرخيت حزام المولد (الدينامو) وعبثت بشمعات الاشتعال (البوجيه) ونزعت أنبوب مضخة البنزين، وقصدت ثلاثة مرائب، وكل منها مجهز بمحلل مختلف. فكشف المحلل الافضل كل الاعطال، بينما لم يكشف المحللان الآخران الا العطل في شمعات الاشتعال، وأشارا خطأ الى وجود أعطال أخرى.

ومن الادوات المفيدة الاخرى جهاز مسح يدوي يوصل بكمبيوتر المحرك ويحدد الخلل بدقة. اسأل مدير المرأب عما اذا كان لديه جهاز كهذا يمكن وصله بسيارتك.

٤. احصل على أكثر من تشخيص. اذا استعظمت الكلفة المقررة لاصلاح عطل، أو شككت في صحة تشخيصه، استشر مرأباً آخر. لكن اياك أن تكشف لهذا نتائج التشخيص الاول، دعه يتبين العطل بنفسه، اذ يجوز أن يفيدك المرأب الاول أن سيارتك تحتاج الى ابدال صمام بكلفة ٥٠٠ دولار، بينما يؤكد لك الآخر أن اصلاح دافع الصمام المكسور بكلفة لاتتعدى ٩٥ دولاراً هو كل ما في الامر. وطبيعي أن تأمل ان يكون المرأب الثاني محقاً، ولكن من المفيد أن تستشير مرأباً ثالثاً حين يكون الرأيان الاولان متناقضين. ومتى اتفق مرأبان على نوع العمل المطلوب، فالاحتمال الارجح هو أن يكونا كلاهما على صواب.

ان التسلح بأكثر من رأي هو فضلى الطرق لضمان اصلاح عطل بكلفة عادلة، خصوصاً اذا كان التخمين الاول غالياً.

٥. احذر الغش. يتألف ناقل السرعة الآلي (ترانسمسيون) من مجموعة معقدة من أجهزة التعشيق والتروس والسدادات والممرات.[٢] لا يعرف الشخص العادي شيئاً عنها. وهو لذلك يشكل مجالا رحباً للغش أكثر من أي جزء آخر في السيارة.

قد يبسط ميكانيكي عديم الضمير وعاء الناقل الآلي أمامك ويشير الى الجسيمات المعدنية المترسبة فيه دليلا على أن الناقل آخذ في التلف. لكن هذا التلف المعدني أمر طبيعي ناتج أساساً من اجتياز السيارة مسافة الـ٣٠٠٠ كيلومتر الاولى. وما لم تلاحظ وجود شظايا أو أجزاء معدنية كبيرة، فلا داعي الى القلق.

وثمة وسيلة أخرى للغش يلجأ اليها الميكانيكيون، وهي أن يحملوك على توقيع تفويض بالعمل أو يهملوا تسليمك نسخة عن بيان يحدد الاصلاحات المطلوبة. فاذا لم ينظم الميكانيكي بيان عمل أو تقديراً بكلفة الاصلاح، أو تحاشى تحديد السعر النهائي، فابحث عن مرأب آخر، ذلك لانه يريد أن يترك المجال مفتوحاً لتحميلك مزيداً من الاعباء ما ان تصبح السيارة في عهدته.

(٢) Clutches, gears, seals and passages

تسلمت رسالة قبل فترة من أرملة في الحادية والسبعين قصدت احدى محطات الخدمة لضبط سيارتها، ولكن فاتها ان تطلب نسخة عن بيان بالاصلاحات. فاستغل ميكانيكيو المحطة هذا الامر لاضافة ٧٠٠ دولار كلفة اصلاح مكيف الهواء الذي كان في حال جيدة.

ان العروض الخاصة التي يعلن عنها في الصحف وتبدو مبالغاً في صحتها هي عادة كذلك. بعضها بمثابة طعم يستدرجك الى الافادة من صيانة بسعر متدن، وما ان يبدأ العمل على سيارتك حتى يطالعك المرأب بضرورة اجراء اصلاحات لم تكن في الحسبان.

قصد أحد أصدقائي محطة معروفة كانت تعلن تقديم خدمة تشحيم وغيار زيت وفحص لسلامة السيارة، مجاناً. وبعدما أفاد من "العرض الخاص" أبلغ الى صديقي أنه في حاجة ملحة الى كوابح ودعائم أمامية جديدة. لكنه كان من الحكمة بحيث "أكل الطعم ولم يعض الصنارة."

ثم عاد بعد بضعة أشهر الى المحطة نفسها للافادة من العرض الخاص مرة أخرى، فقيل له ان سيارته في حاجة الى نوابض جديدة، ولم يأت أحد على ذكر الكوابح أو الدعائم، مما ترك لديه انطباعاً أن المرأب خصص ذلك الشهر لترويج النوابض.

واثارة الذعر فن آخر يلجأ اليه بعض الميكانيكيين وسيلة للخداع. فاحذر الذين يقولون لك: "لو كنت مكانك لما ركبت هذه السيارة كيلومتراً آخر" أو "هذه المحركات تسبب لنا متاعب دائماً." فاذا شككت في الأمر غادر المكان للحال.

واعلم أن اللوحات التي تشير الى أن السيارة هي "من خارج المنطقة" توحي الى الميكانيكيين غير الامناء سهولة ممارسة الغش الذي يمكن أن يصل الى حد تخريب السيارة، كقطع أحزمة المراوح أو ثقب الاطارات أو رش الزيت على ممتصات الصدمات للايهام أن الزيت يتسرب منها، أو أخذ قياس منقوص لزيت المحرك وزيت ناقل السرعة بعدم دفع قضيب القياس الى القعر. فاذا لم تلاحظ أي عطل من هذا النوع قبل دخول المحطة، فغالب الظن ان سيارتك لا تحتاج الى اصلاح.

وأخيراً، رافق الميكانيكي حين يقود السيارة في جولة اختبارية. فبذلك تكون في وضع أفضل لمعرفة أعراض الخلل فيها، ولمراقبة عمله تحسباً.

واذا حظيت بميكانيكي كفي، مستقيم، جدير بالثقة، فواظب على زيارته ولا تتخل عنه وإن تكن خدمته أغلى قليلا. فذلك يوفر عليك، في المدى البعيد، كثيراً من المال والمتاعب.

روبرت سيكورسكي ■

ثمة حدود لا يبقى الصبر بعدها فضيلة.

ادموند بورك، سياسي وفيلسوف بريطاني

Microsoft Authorized Training Center

Beirut- Lebanon

مركز مايكروسوفت المعتمد للتدريب

The Microsoft Authorized Training Center offers courses on all Microsoft products including: Arabic Works
Windows 3.0
Excel for Windows
Word for Windows
PC-Dos-Windows Introductory course

Many more courses will be introduced regularly which will cover other Microsoft products such as DOS 5.0, Works for Windows, Publisher, Microsoft C, Microsoft Pascal,...

Microsoft Authorized Training Center is one of its kind with its **'Hands On'** approach to teaching.The focus is on learning by directly practicing on the computer. And you'll get Microsoft authorized certificates for every course you successfully complete.

What you learn is what you practice!

A.C.T. s.a.r.l.
Hamra - Commodore Center, 7th flr. Tel: 350349

Microsoft

ساحل المرجان

"لن نكفّ عن الاستكشاف. وسينتهي بنا المطاف دائماً الى حيث بدأنا، فنتعرَّف الى المكان للمرة الاولى"

ت.س. إليوت، شاعر وناقد بريطاني

أعدّ نفسي محظوظاً لاني ولدت في كينيا. فقد بقيت هذه الجنة الافريقية زاداً لي في الغربة، على رغم أني هاجرت منها صغيراً. اختزنتُ في ذاكرتي سحر البلد والناس ولون الشمس والسماء وشفافية الضوء. وأعادني اليها الحنين أخيراً في رحلة الى ماضيّ.

ولدت في نيروبي، الّا أنني تعلقت ببلدة مومباسا الساحلية وبجو "ألف ليلة وليلة" الذي يطبع الحياة فيها. وكان يحلو لي في صباي أن أركب قطار الليل المسافر من نيروبي الى مومباسا، عبر السهول الاستوائية الزاخرة بالطرائد، نزولا الى الساحل من ارتفاع ١٨٣٠ متراً، مروراً بمحطات تحمل أسماء غريبة ذات وقع موسيقي مثل "سامبورو" و"السلطان حمود" و"متيتو أندي" و"ماريا كاني." وأغفو ثم أفيق لأرى أن الاجمات والمراعي أفسحت لأشجار

المانغو الخضراء الظليلة ونخلات جوز الهند الباسقة. وألمح في نهاية المطاف زرقة المحيط الهندي ومجموعة محببة من البيوت والجوامع منتثرة حول المرفأ.

مرّ فيض هذه الذكريات في خاطري وأنا على رصيف محطة نيروبي. وقرأت لافتة معلقة هناك تنبه الى أن غرفة الانتظار هي لركاب الدرجة الاولى وحدهم.

وكانت المقطورة التي ركبتها بسيطة جدّاً، وبعيدة جداً عن مقطورات الدرجة الاولى المريحة التي عُرفت في الماضي. الا أن أموراً بقيت على حالها. فما زال مضيف في بزة رسمية يعلن موعد العشاء عازفاً لحناً ساحراً على آلة الزيلوفون.[1]

أخبرني جدي، وهو طبيب، أن البريطانيين أنشأوا مع مطلع القرن السكة الحديد التي تربط بحيرة فكتوريا في أوغندا بالساحل الشرقي لافريقيا. وهو رافق مراحل بنائها، وقص علي ضروب الصعاب التي تخللت العملية، ومنها أن أسدين هاجما عمال المحطة في تسافو وافترسا ١٠٠ منهم قبل أن يطلق كبير المهندسين النار عليهما ويرديهما.

نهضت مع الفجر ورفعت مصراع مقطورتي الخشبي لأجد أننا نعبر السهول. وكان ضباب أبيض كثيف يرتفع من العشب ومن الشجيرات الشائكة، ولم يلبث أن تبخر مع طلوع الشمس مخلفاً دقائق متبلرة امتزجت بالهواء فاستحالت الرؤية عبره آية من الروعة، لكأن المرء واقف على عتبة اللانهاية. وتلألأ الضوء في الافق في دفق فضي عكس أشكالا خادعة تظنها تموجات مياه. وتجمعت غيوم نيِّرة في السماء الباهتة كأنها أسوار عالية من اللؤلؤ.

وتبقى مومباسا، كما وصفها الكاتب كارين بليكسن "لوحة جنة بريشة طفل": منازل ذات سطوح حمر بنيت من مرجان أو حجر بلوني المغرة والمشمش، تقوم في موازاة الزرقة الصفيرية الوامضة لمياه المحيط. أما مدخل حيدها المرجاني فيشكل مرفأ بحرياً طبيعياً أصبح، لجماله، ميناء مهماً ومنتجعاً سياحياً.

رائحة يأس وحزن. الساحل الكيني مشبع بقصص التاريخ. فقد كان التجار العرب والفرس يأتون اليه بالسجاد الشرقي والحجار الكريمة والتوابل، فيقايضونها بالذهب والعاج وجلود الحيوانات. وهم بنوا الجوامع والبيوت الانيقة وملأوها فضة وخزفاً وحريراً. كما جعلوا أفارقة كثيرين يعتنقون الاسلام. وأدى تزواجهم بالنساء المحليات الى نشوء قبيلة جديدة تدعى السواحلية[2] يتصف أفرادها بالوسامة ويتميزون بثقافة ولغة موسيقية غنائية معبرة أصبحت اللغة المشتركة لشرق افريقيا.

بعد وصولي الى مومباسا توجهت جنوباً الى منطقة شيموني حيث زرت، برفقة دليل، المغاور الضخمة الشديدة

(١) Xylophone. آلة موسيقية مؤلفة من صف من القضبان الخشب يعزف عليها بضرب قضبانها بمطرقتين خشب صغيرتين.
(٢) Swahili

© 1988 BY HUBERT DE SANTANA. CONDENSED FROM THE FINANCIAL POST MONEYWISE MAGAZINE (MAY '88), TORONTO, ONT.
PHOTOS: PETER BENNETT / IMAGE FINDERS, L.D. GORDON / THE IMAGE BANK OF CANADA

الرطوبة والملأى بالخفافيش التي كان الرقيق يخبَّأون فيها قبل تهريبهم على متون المراكب الشراعية. وفي القرن التاسع عشر فرض البريطانيون حصاراً على الساحل في محاولة لوقف هذه التجارة اللاانسانية. وغالباً ما أفلتت المراكب بمن فيها. أما إذا حوصرت، فكان بحارتها يلقون الرقيق في البحر. قال لي دليلي السواحلي: "ان رائحة اليأس والحزن التي تعبق بها هذه المغاور لا تلطفها ريح ولا تنقيها مياه محيط."

أشجار "مقلوبة." يتميز الحي القديم في مومباسا بشبكة من الدروب والازقة وبشرفات معلقة غنية بالنقوش وأبواب خشب عربية الطراز تزينها أفراس نحاسية. لقد طبع هذا المكان بسحر خاص في الماضي البعيد، اذ كان يزدحم برجال عرب متمنطقين بخناجر معقوفة ونساء محجبات متشحات في زي أسود يعرف بالـ"بوي بوي." وفي الميناء، كانت ترسو المراكب الشراعية العربية التي طالما حلمتُ بركوبها في رحلات سندبادية. كان قباطنتها "يدردشون" مع التجار حول اكواب لا تحصى من القهوة الحلوة المنكهة بالزنجبيل، وبحارتها ينشطون في تحميل البضائع أو افراغها.

أما اليوم فالمكان خراب. دكاكين صياغة الذهب والفضة وحوانيت الحلوى عفاها الزمن وأُبدلت بمحال لبيع الهدايا.

لكن مومباسا تبقى نقطة مثالية لاستطلاع "ساحل المرجان" المتسم بغرابته وغموضه. نزلت في فندق على الشاطىء شمال البلدة، ورحت أتأمل الامواج تتكسر وراء الحيد المرجاني راسمة خطاً أبيض متعرجاً ومحدثة ما يشبه الرعد حتى إن انعدمت الريح. وتمكن السباحة هناك عندما يكون المدّ عالياً، لان الحيد البحري يشكل عائقاً دون وصول سمك القرش وغيره من الضواري الى الشاطىء.

ذهبت في رحلة مع بعض السياح الى ماليندي، البلدة الساحلية العريقة في القدم وأذكرها ايام طفولتي مرفأ صيد قليل الحركة، ومنازل حجر ومرجان ذات سطوح من سعف النخيل.

كنت ووالدي نصيد السراطين في الصخور تحت العمود الذي رفعه ڤاسكو دا غاما حيث حط رحاله عام ١٤٩٨. ولا يزال العمود قائماً، لكن الواجهة البحرية تزدحم اليوم بالمرابع والفنادق.

وأعادني الحنين الى الشاطىء الذي أحببته طفلا، جنوب مومباسا. فاستعنت

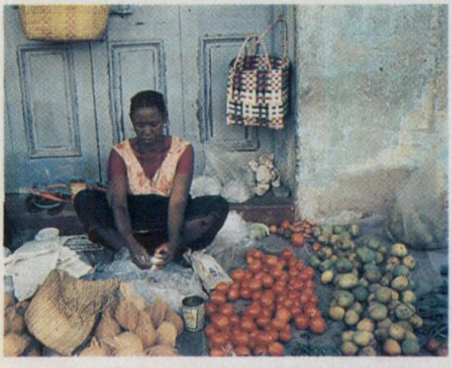

بدليل عربي توجه بي في سيارة مستأجرة نحو معدِّية نهرية راسية في ليكوني. فطالعتنا أيكة من أشجار الباوباب (التبلدي) الاستوائية. ولأن اغصانها العارية من الاوراق تشبه الجذور، يقول سكان المنطقة إن الله عز وجل زرعها رأساً على عقب.

عبرنا النهر في المعدِّية. وفي طريقنا الى شاطىء دياني مررنا بمزارع الكاشو وجوز الهند حيث امتلأ الجو برائحة الكاشو العطرة. ولدى وصولنا الى المنعطف المؤدي الى الشاطىء شاهدنا "غابة" من اللافتات الاعلانية لفنادق وأندية للرياضة المائية وأكواخ لقضاء العطل.

يمتد شاطىء دياني عشرة كيلومترات، شريطاً من الرمل الفضي الناعم، محدودباً نحو المحيط، تظلله أشجار جوز الهند وتضفي عليه شجيرات البوغنفيلية والغاردينيا والدفلى والبونسيانة لمسات استوائية أخيرة. ولا يعرف التلوث طريقه الى المنطقة التي لا تشهد حركة قوية حتى في ذروة الموسم السياحي. اللهم الا ما يثيره باعة البطاقات والطوابع التذكارية من مضايقات للسياح. وهم يقبلون، بل يلتمسون، مقايضة بضاعتهم بـ"سروال أو حذاء أو قميص إذا لم تكن تحمل نقوداً."

يصل عرض الشاطىء أثناء الجَزْر الى سبعين متراً، ويزدان بأصداف رائعة يحظَّر التقاطها الاّ على التجار المرخص لهم قانوناً.

رفيق عربي. أمضى المستكشفون البرتغاليون في القرن السادس عشر ثلاث سنوات في بناءِ أعظم حصن في مومباسا. وهو الآن متحف ومَعْلم وطني. وقد انتهى بناؤه، مبدئيا، عام ١٥٩٥. لكن طبقته الطينية الخارجية تتهاوى في كل مكان فيه، كما أن بقعاً كبيرة من العفن الاسود تشوه الجدران المائلة التي تبلغ سماكتها مترين ونصف متر والتي كانت في الماضي زهريَّة قاتمة. لكن الحصن يبقى في ذاكرتي البناء الاكثر مهابة ورمزاً لمجد الهندسة والعمارة العسكريتين.

تجولت لبعض الوقت ثم جلست على مقعد حجري تحت أحد أبراج الحصن في مواجهة المحيط. وانضم الي رجل عربي جاء ليتأمل غروب الشمس مثلي. كان مسناً، ناحلا، ذا لحية بيضاء ملساء مستدقة وعينين بنيتين باسمتين ويرتدي

زيّه التقليدي المؤلف من عباءة بيضاء وكوفية مطرزة. تحادثنا بالسواحلية، فسألته: "هل تذكر اللون الزهري للحصن في الماضي؟"

أجاب: "لقد اكتسبت الجدران هذا اللون لأنها شربت غروب الشمس كل يوم على امتداد أجيال. لكنها شاخت وشحبت، وقلة تذكر بهاءها السابق. هذا قدر الاشياء كلها."

واذ غطست الشمس في المياه المحمرة انساب صوت مؤذن من جامع قريب. فتركني أنيسي العربي للصلاة.

تركت كينيا صغيراً وعدت اليها راشداً، وأدركت أن تعلقي بهذه الارض هو اليوم أقوى من أي وقت مضى، على رغم سني غربتي الطويلة. وقد سرني أن كينيا لم تفقد عظمتها وبراءتها وغموضها على رغم تغيرات سطحية رافقت تقدم العصر.

وأختتم بقول سواحلي مأثور يلخص طبيعة الحياة المتنعمة بالراحة وقلة الانشغال على ساحل كينيا: "هركة هركة هايني بركة (الحركة لا تجلب البركة)."

هيوبرت دي سانتانا ■

صرخة مستجابة

أعمل ساعياً لدى شركة خاصة للبريد السريع. وفيما أنا أغادر مبنى ذات يوم، تلقيت رسالة بواسطة جهاز الاستقبال الالكتروني تبلغني بوجوب تسلّم رزمة من شركة لم أكن سمعت اسمها من قبل. فتطلعت نحو السماء مبتهلا: "يا الهي! الى أين يفترض بي أن أتوجه؟" وفي تلك اللحظة تلقيت اتصالا جديداً يفيدني بعنوان الشركة.

وكان رجل واقفاً على مقربة مني، فرأى وسمع. واذا به يرفع يديه الى السماء ويصرخ: "لماذا لا تستجيب لي أبداً؟"

د.د.

صاحب نخوة

نشأتْ في مصنع الكيميائيات، حيث أعمل مشرفاً، مشكلة معقدة لم يكن أحد من العمال المناوبين واجهها من قبل. فاقترح أحدهم: "قاسم هو أقدمنا. ولا بد أنه صادف هذه المشكلة من قبل. لماذا لا نسأله عندما يحضر للنوبة المسائية؟"

وعندما حضر قاسم شرحت له المأزق وسألته ما اذا كان واجه حالة مشابهة، فأجابني: "نعم!"

قلت: "حسناً، وماذا فعلت؟"

فرد العامل المسن: "تركتها للنوبة التالية!"

ف.هـ

دائرة المعارف

أحبت العرب جميل الكلام والعبارة. هنا عبارات صارت مضارب أمثال.

نار القِرَى. هي مذكورة على الحقيقة لا على المثل، وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرفِ مآثرها، وهي النار التي كانت تُرفع للسفر ولمن يلتمس القِرَى، فكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة.

صَوْلة الجَمل. تقول العربِ في أمثالها: أصوَلُ من جَمَل، ومعناه أعَضّ، يقال: صالَ الجملُ، وعضّ الكلب وعقَر افصَح. وفي الحديث: "إن العرف لينفع عند الجمل الصَّوّال والكَلْب العقور."

نقيع الحنظل. يُضرَب مثلا لما يوصف بالمرارة والكراهة، لأنّ الحنظل أمرّ شيء وأكرهُه، قال عنترة:

والخيل ساهمةُ الوجوهِ كأنما
سُقِيت سوابقها نقيعَ الحنظلِ

خَبْط عَشْواء. يُضرَب مثلا لمن أصحابه منه بين مُعافى ومُبتلى، ولمن يصيب مرّة ويُخطىء أخرى. والعشواء الناقة التي لا تُبصِر ليلا، وهي تطأ كل شيء.

نخوَة العَرب. لم تَزَل العربُ تتميز عن سائر الأمم بالنَّخوة لما كانت تختصّ به من السماحة والفصاحة والشجاعة، حتى إنَّ النّعمان بنَ المنذر ترفَّع عن مُصاهرة سلطان أبرويز إذ كان من العَجَم. ولمَّا بعث الله تعالى صفوة خلقه وخاتمَ رسُله منهم ازدادت نخوتُهم وصارت مثلا، كما قال الشاعر:

* لُؤْمُ النَّبيطِ ونخوَةُ العَرَبِ *

سَرق العقعق. يُضرَب به المثل، فيقال: أسرَق مِن عَقْعق، لأنّ له حِذْقا بالاستلاب وسرعة الخطف. ومن حِذقه أنه لا يستعمل ذلك في ما ينتفع به، فكم من عِقد ثمين خطير، وكم من قُرْط شريف نفيس، قد اختطفه من بين أيدي قوم، فإما رمى به بعد تحليقه في الهواء، وإما جرَّه ثم لا يلتفت إليه أبدا.

عَيثُ الغيث. يُضرب مثلا لما يعمّ خيرُه ويخصّ شرّه. وذلك أنّ الغيث على إغاثته الخلق، وإحيائه الأرض بعد موتها، ربما ضرّ الخلْق بهدْم البيوت، وتخريب العُمران، وتعويق المواعيد، وإيذاء المسافرين. وقد أنشد الشيخ أبو الفتح البُسْتِيّ:

لا ترجُ شيئاً خالصاً نفعُهُ
فالغيثُ لا يخلو من العَيْثِ

كذب الدّلّال. يقال إنّ أمر الدّلّال لا يتمشى بغير الكذِب، فهو يثابر عليه. ويقال: لكلّ أحدٍ رأسُ مال، ورأسُ مال الدّلّال الكذب. ويروى أنه أولُ من دلّ إبليس حيث قال: ﴿هل أدُلُّك على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى﴾.

ثقل الدَّين. يُضرب به المثل، كما قال ابن الرومي:

وثقيل كأنه ثقلُ دَين
يتعدّاه طالعاً كلَّ عيْنِ
حَمّل اللهُ ثِقلها ثِقلها ثُمَّ
براه علاوة الثَّقلَيْن

ويُروى أن لقمانَ قال لابنه: يا بُني، حملتُ الصخَر والحديدَ فلم أحمل أثقلَ من الدَّين، وأكلت الطيبات، وعانقتُ الحِسان، فلم أصِب الذَّ من العافية، وذُقتُ المرارات، فلم أذق أمرَّ من الحاجة الى الناس.

صوْلة الكريم. يقال: اتّقوا صوْلة الكريم إذا جاع وصولةَ اللئيم إذا شَبع. ويقال: نعوذ بالله من صوْلةِ الكريم إذا جاع، وضربة الجبان إذا خاف.

عَرَق القِرْبة. من أمثال العرب في عَرَق القربة: لقيت من فلان عَرَق القِربة، أي شدَّة ومشقَّة، وأصله أنَّ حاملَ القربة يتعب في حملها وثِقلها حتى يعرَق جبينه، فاستعيرَ عرَقه في موضع الشدَّة والتعب.

غضَب العاشق. تُشبّه به سحابة الصيف، وتشبَّه سحابةُ الصيف بغضب العاشق في سرعة الانحلال.

وكان الهمذاني يقول: غَضب العاشق أقصر عُمراً مِن أن ينتظر عُذْراً.

غرابُ البَيْن. قال الجاحظ: غراب البَيْن نوعان: أحدهما غِربان صغار معروفة بالضَّعف واللؤم، والآخر كلّ غراب يُتشاءم به، وإنما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بانَ أهلُ الدار وقع في مواضع بيوتهم يلتمس ما تركوا، فتشاءموا به، وتطيّروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم ألا إذا بانوا، فسمّوه غرابَ البيْن، واشتقوا من اسمه الغُربة والاغتراب، وليس في الأرض بارحٌ ولا قعيدٌ ولا شيء مما يتشاءم به إلّا والغراب عندهم أنكد منه.

وللبديع الهمذانيّ فصل في ذكره يليق بهذا الموضع وهو: ما أعرف لفلان مثلا إلّا الغراب، لا يقع إلّا مذموماً على أيّ جنب وقع، إن طار فمقسّم الضمير، وإن وقع فمروِّع بالنّذير، وإن حجلَ فمشية الأمير، وإن شحج فصوتُ الحمير، وإن أكل فدَبْرة البعير.

تفاريق العصا. تضرب مثلا للمحقّرات يُحتاج إليها ويُنتفع بها، قالت غَنيّة الأعرابية:

أحلِف بالمَرْوَة حقًّا والصَّفا
أنك خيرٌ مِنْ تفاريق العَصَا

تقولُه لابنها، وكان غازياً كثير التعرض للناس، مع ضعف أمر ودقة عظم. فواثَبَ فتى فقطع الفتى أنفه، فأخذت غنيّة ديةَ أنفه، فحسُن حالُها بعد فقر مُدقِع، ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديته، فزادت حسن حال، ثم واثب آخر فقطع شفته، فأخذت ديتها، فلما رأت ما صار عندها من المال – وذلك من كسب جوارح ابنها – حَسُن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها.

وسئل ابن الاعرابي عن تفاريق العصا فقال: العصا تُقطَع فتصير سواجير، ثم تقطع فتصير أوتادا، ثم تقطع فتصير كل قطعة شظاظا، ثم تقطع فتصير مهاراً، وهو العود يُجْعَلُ في فم الفصيل لئلا يرضع أمه.

نَقْش الحجر. يُضرب مثلا لما يثبت ويبقى ولا يضمحل. ومن أمثال المؤدبين: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، والتعلم في الكبر كالكتابة في الماء.

وسمع الاحنف بهذه الكلمة فقال: الكبير أكبر عقلا لكنه اكثر شغلا.

مزرعة مجانين

كيف علقتُ أنا ابنة المدينة في مطعم للحيوانات؟

كنت أنا وزوجي نحلم دائماً بانبات غذائنا. وكثيراً ما تصورت نفسي أمرر أطباقاً من الخضر الطازجة الى مدعوينا مرفقة برسالة متواضعة: "من نتاجنا." لكننا اليوم، بعدما اشترينا مزرعة، نجهد نهارنا في جر أكياس ثقيلة الى قطيع من خمسة وأربعين حيواناً مسمناً لا عمل لها سوى التمتع بنشوة الهضم. فكيف علقت أنا ربيبة المدينة، في إدارة "مطعم" يقدم سلطة الى كائنات لا نفع منها.

بدأنا بصديقتنا "الخاصة." وكانت كارثة لم نتعلم منها شيئاً. فبعد موسم امضيناه في الحرث والتسميد والتسييج وفي حصاد يقصم الظهر انتجنا حبة بندورة (طماطم) كاملة الاوصاف. كانت حبة جيدة اذ سلمت من القوارض التي خلفت آثار قواضمها في كل الحبات الاخرى.

ثم جئنا بالمعزى. لقد أحببنا دائماً جبنة المعزى، وتصورنا أن عدداً قليلا منها سيدر لبناً لذيذ الطعم فيما هو يتواثب مرحاً كحيوانات أليفة فاتنة. وهكذا وافقت على تسلم معزاتين معتوهتين هما لولو ولولوبيل.

©1991 BY LAURA CUNNINGHAM. CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (MAY 12, '91), NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATIONS: PATRICK MCDONNELL

ولئن كنت أعلم أن المعزى لا تنتج، تلقائياً، قطعاً بيضاء نظيفة من الاجبان الجديدة، فما كنت أجهله هو أن على "المسؤول" عن رعايتها التورط في مسائل الحلب ومشاكل الارضاع، وفي العلاقات "العاطفية" أيضاً. ولا يعطي الماعز حليباً الا متى تزاوج. ولم يكن في بلدتنا ذكر ماعز سوى "باكي" الذي تصل رائحته الى بعد أمتار. وفي زيارته الأولى للشقيقتين ألحق أضراراً بالحظيرة قدرت بألفي دولار، قبل ان يلتهم الثلاثة عتبة النافذة. وهكذا ألغيت العلاقة الغرامية.

والآن تسلينا لولو ولولوبيل بلعب ماعزي في مرجتنا. فتتناطحان أو تؤديان رقصات غريبة. لكنهما تكتفيان، معظم الوقت، بالمضغ والتبرز.

ثم راودنا حلم تناول بيض طازج نجمعه دافئاً في الصباحات. وهو حلم تحقق في ٨٣ دجاجة حمراء مزعجة. وبعد انفاق بضع مئات من الدولارات لاطعامها، اذا هنالك ذات صباح بيضة بنية دافئة حريرية الملمس تحت دجاجة كادت تقطع يدي حين مددتها لتناول البيضة.

وسرعان ما علمت أن طيور الدجاج كائنات سيئة الطباع. حتى الديك خذلنا. كنا نتوقع أن يوقظنا بصياحه الأبي. ولكن توجب علينا، في "مزرعتنا المزيفة" كما نسميها، ايقاظه ظهراً رغماً عنه.

ومع الدجاج جاء الاوز، أقل الحيوانات شأناً. وقد اخترناها للحال اذ قرأنا عن "فراخ تولوز" في كتاب مصور عن الطيور.

فراخ! احتوت هذه الكلمة جاذبية تعيد الى الأذهان ايقاعات غرف الحضانة. لكن فراخي الخمسة الصغيرات ذوات الزغب الأخضر المصفر سرعان ما قاقت وأكلت لتغدو إوزات سمينات تزن الواحدة

منها تسعة كيلوغرامات. وزينت لي نفسي فترة انها ستهاجر جنوباً لتمضية فصل الشتاء، اذ كنت شاهدت شريطاً وثائقياً بعنوان "طيران اوز الثلج المدهش." وخطر ببالي أن اسجل طيران إوزاتي على شريط فيديو. لكنها كانت تحسن الطيران بمقدار ما أحسنه أنا، فترفرف مسافة أمتار انحداراً لتستقر في حوض مطاط تسبح فيه.

وألفيت نفسي منقادة الى ادارة منتجع للاوز. لكن أفكاراً أخرى كانت تراود زوجي. فقد همس لي وفي عينيه نظرة شريرة: "العيد على الابواب، والاوزات تسمن."

فراعتني كلماته. كيف يمكنه التفكير في شي حيوان اعتبرني حاميته؟

تبعتني الاوزات الى بركة قريبة بعدما أكد لي الجيران انها ستنسى مزرعتنا وتستقر في البركة ما ان تلامس مياهها. لكنها غادرت البركة في طابور واحد عندما غادرت أنا، اذ التفت فرأيتها رافعة رؤوسها الرمادية الحمقاء متواثبة فوق العشب الطويل، لا تطمح الى أكثر من اقتفاء وطء قدمي.

تأثرت بما حصل. لقد أمست اوزاتنا حيوانات مدللة تثير الاشمئزاز، بعدما سقط زغبها واخشوشنت أصواتها. حتى الذكر الوحيد آرنولد نقر رجلي عندما أدرت له ظهري. لا أريد أن أصدق أن الأوز يعمر ٣٠ عاماً، وربما أكثر.

أنا اليوم أشتري خضراً طازجة. وأختار اوزتي من سوق اللحوم. وأحصل على البيض وجبنة الماعز من متجر للمأكولات الفاخرة. أدفع دولارين ثمن نصف دزينة من البيض الطازج، لكنها مع ذلك أرخص من البيض الذي أنتجته والذي كلفني ٣٠٠ دولار البيضة الواحدة.

وأعظم من ذلك أنني أستطيع ان أشوي اوزة واطريها بالزبدة وأتمتع بنكهتها، مطمئنة الى أنها ليست آرنولد. فآرنولد هناك، في الحوض الصغير، يسبح مع رفيقاته.

لورا كاننغهام ■

أبو العائلة

عملتُ فترة في محل لتأجير أفلام الفيديو. وذات مساء دخل رجل المحل واختار فيلماً وتوجه الى الواجهة الزجاجية ورفعه عالياً في يده. وما لبث أن عاد وأخذ شريطاً آخر الى الواجهة ورفعه عالياً ثم أعاده الى الرف. وبعد عدة جولات "مكوكية" كان جميع من في الداخل يتطلعون اليه.

وعندما أخذ الرجل حاجته وانصرف، ذهبتُ الى الواجهة، فرأيته يقترب من سيارته. وكان داخل السيارة بضعة أولاد يضجون ويمدون أيديهم لانتزاع الافلام التي ساعدوه في انتقائها.

ب.د.

مَدينة الضّباب

"نهر التايمز تحت مبنى وستمنستر"، للرسام كلود مونيه.

الألوان

كيف بدت لندن في عيون مونيه وبيسارو وسيزلي؟

سديم رائع من الالوان الزرق والبنفسجية والرمادية، تطل منه جسور لندن ممتدة فوق نهر التايمز ومباني البرلمان عبر نور الشمس والضباب، وتتوهج حدائق كيو اخضراراً، ويزهو قصر هامبتون.

هذه هي لندن كما رأتها أعين الرسامين الانطباعيين الكبار كلود مونيه وكميل بيسارو وألفرد سيزلي.

الانطباعية ولندن؟ ان هذا الفن الاكثر شعبية يوحي الى معظمنا صوراً ومناظر متألقة لباريس وضواحيها والقرى المجاورة المنتشرة على ضفاف النهر، عالماً من الجمال في لقطات إبداع. الا أن علاقة مميزة قامت بين الانطباعيين ولندن. وهم أنتجوا بعضاً من أروع المناظر التي رسمت للمدينة على الاطلاق.

زار ألفرد سيزلي لندن صيف ١٨٧٤ ورسم نحو ١٥ لوحة تعد من أجمل لوحاته، معظمها لقصر هامبتون ومولسي، وثمة لوحتان لزوارق على نهر التايمز ولوحة صغيرة لشارع المال في قلب العاصمة.

قدم بيسارو ومونيه الى لندن للمرة

© 1989 BY MARINA VAIZEY. CONDENSED FROM IN BRITAIN (JULY '89, LONDON) PHOTO: THE NATIONAL GALLERY, LONDON

C. Pissarro

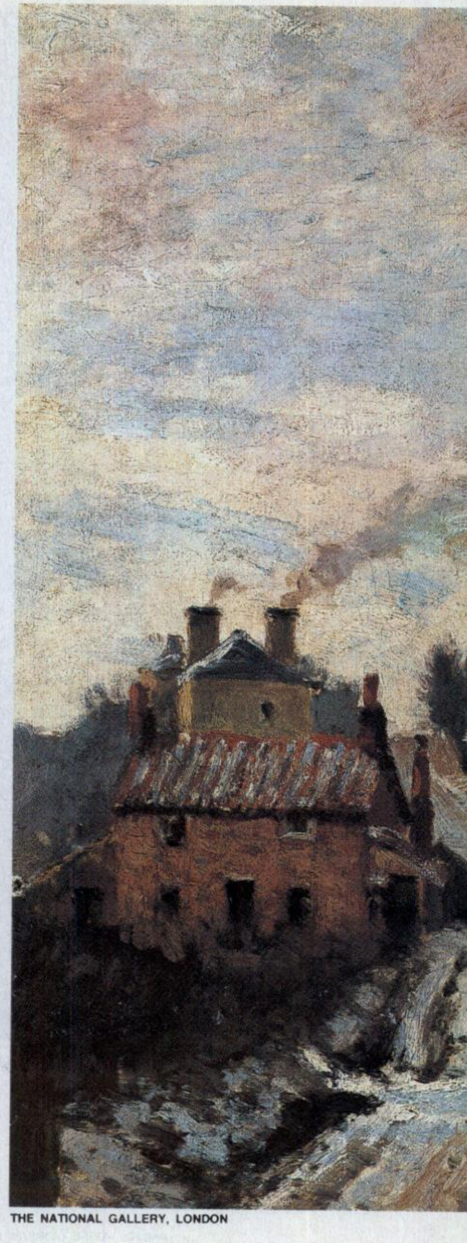

الاولى عام ١٨٧٠ هرباً من الحرب الفرنسية – البروسية، وكان ذلك قبل أربع سنوات من ظهور الحركة الانطباعية وتسميتها التي جاءت في سياق ما بات معروفاً بالمعرض الانطباعي الاول الذي أقيم في باريس عام ١٨٧٤.

مكث الرسامان في لندن أقل من سنة، وأحضر بيسارو زوجته وولديهما وأقاموا في جنوب لندن. وهو أشار لاحقاً الى مدى افتتان الرسامَيْن بمناظرها الطبيعية. وذكر أن مونيه كان يرسم المتنزهات فيما أقام هو في ضاحية لور نوروود الساحرة دارساً مظاهر الضباب والثلج والربيع.

في هذه الرحلة الاولى، وكانا في أول عهدهما بالرسم، توثقت أواصر الصداقة بين الفنانين. وفي زيارات بيسارو ..بع

PHOTO: ASHMOLEAN MUSEUM OF ART AND ARCHEOLOGY

(فوق) بدفورد بارك في غرب لندن.
(الى اليمين) فوكس هيل في أعلى نوروود جنوب شرق لندن.

THE NATIONAL GALLERY, LONDON

يوم عاصف على نهر التايمز في لوحة "سباق الزوارق في مولسي" للرسام ألفرد سيزلي.

للندن رسم ٣٥ لوحة معظمها للضواحي: قطار منطلق على سكة حديد في دوليتش نافثاً دخانه عالياً. مباريات كريكيت. مهرجان شعبي في بدفورد بارك احتفالاً باليوبيل الالماسيّ للملكة فكتوريا.

لكن مونيه يبقى أهم الرسّامين

PHOTO: MUSÉE D'ORSAY, REUNION DES MUSEES NATIONAUX

الانطباعيين تعلقاً بلندن وأكثر زوارها مواظبة. ففضلاً عن تردده عليها للقاء أصدقاء وحضور أعمال فنية، خصص ثلاث زيارات جدّية للرسم، فأبدع ثلاث مجموعات من اللوحات كرست جميعها لمناظر لندن.

قدم مونيه الى لندن خريف ١٨٩٩، وعاد اليها ثانية شتاءً في أوائل ١٩٠٠ حيث بقي الى أوائل الربيع، وثالثة في الفترة نفسها من العام ١٩٠١. وكان في كل من زياراته ينزل في فندق سافوي ويرسم مناظر نهر التايمز. ومن غرفة في مستشفى سانت طوماس على الضفة الجنوبية للنهر رَسَم لوحات لمباني البرلمان.

وبلغ مجموع ما رسمه مونيه نحو مئة لوحة بينها نحو ٤٠ لجسر واترلو و٣٥ لجسر السكة الحديد في تشارينغ كروس و٢٠ لقصر وستمنستر. وعاد بهذه كلها الى محترفه في جيفرني بفرنسا حيث عكف على اكمالها واعادة رسمها مستعيناً بذاكرته.

أراد مونيه أن يبرز لوحات متكاملة تمثل سلسلة من المعالم حول نهر التايمز وتثير لدى الناظر اليها حساً بأبعاد الضوء المتغير وبمرور الزمن. قال: "لاحظت عيني المتمرسة أن مظاهر الاشياء تتغير في ضباب لندن أكثر وأسرع مما تفعل في أي جو آخر." لذلك جاء في الشتاء لكي يضمن مراقبة الضباب الكثيف. وفي لندن استلهم هذا الرسّام الانطباعي الفرنسي العظيم مجموعة من مناظر مدينية هي من أروع ما رسم.

مارينا فيزي ■

بابَار حبيبُ الصغارَ

كيف تُفهمون أولادكم أن الحياة قد تكون ظالمة ولكن عليهم أن يعيشوها بشرف ومرح؟ وكيف يفهمون أن عليهم التغلب على المآسي العائلية التي تحصل أحياناً، والاقتداء بالخير على رغم أن الشر ينتصر أحياناً؟

في امكانكم افهامهم هذه الامور من خلال سرد قصة على مسامعهم. وهذا ما فعلته أم فرنسية شابة تدعى سيسيل دي برونوف عشية صيف في العام ١٩٣٠ عندما كان ابنها ماتيو (٤ أعوام) يعاني أوجاعاً في معدته وأخوه لوران (٥ أعوام) يطالب بسماع قصة. فاختلقت لهما قصة عن فيل صغير يسرح ويمرح في الغابة الى جانب أمه، الى أن أتى صياد شرير وقتل الام فشرد الفيل الصغير الذي هام على وجهه يبكي وحيداً. لكنه كان شجاعاً وعرف أن الحياة ستستمر. وتمكن أخيراً من شق طريقه الى مدينة كبيرة حيث أصبح لديه صديق واكتسب ثقافة جيدة وكبر ليصير فيلا شاباً رصيناً. ثم عاد الى الغابة.

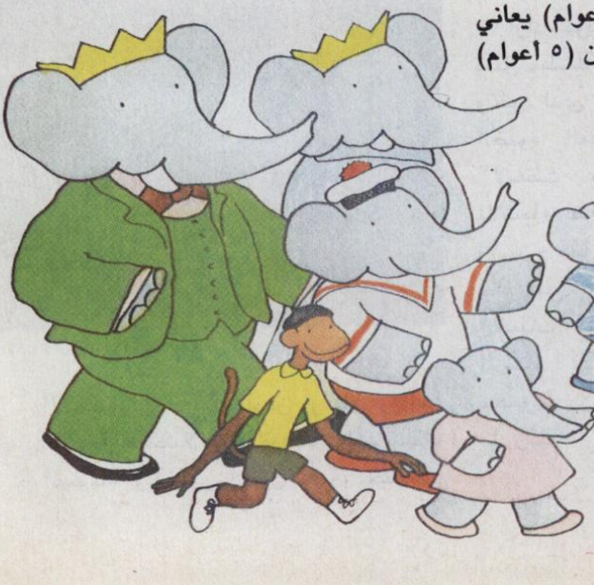

احد الرسوم في قصة
"تعرفوا الى بابار وعائلته."

حلَّق في منطاد وركب ظهر حوت
وسبر الكهوف الجوفية
وطار الى الفضاء الخارجي
لكنه بقي مخلصاً لعائلته
وفياً لاصدقائه الملايين

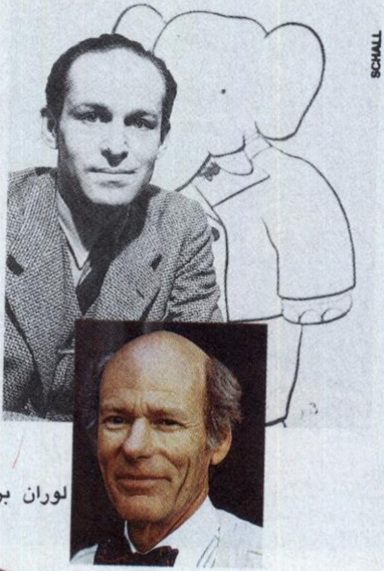

SCHALL

جان برونوف.

لوران برونوف.

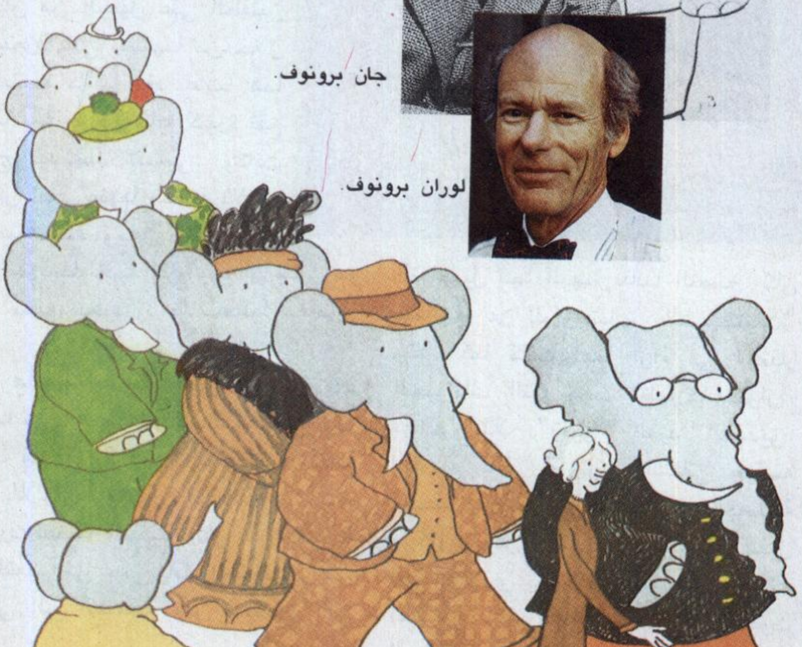

COURTESY OF RANDOM HOUSE

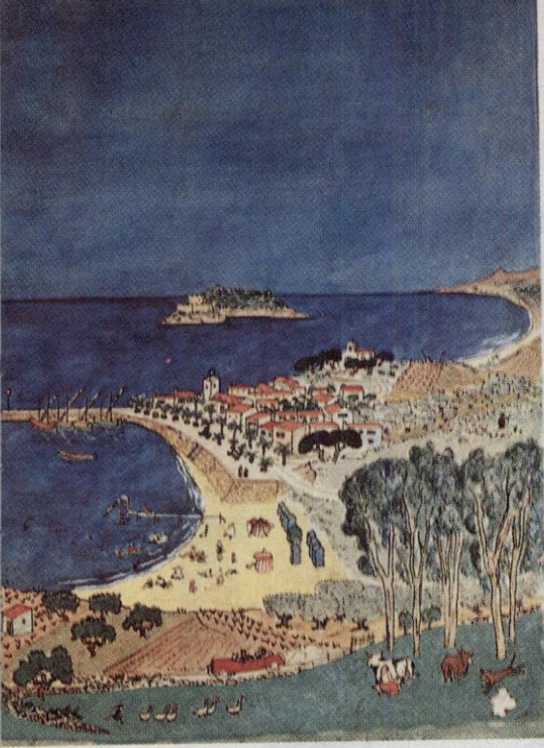

أحب الطفلان القصة وروياها في اليوم التالي لوالدهما جان الذي أحبها بدوره. وهو من أطلق على الفيل اسم "بابار" وكتب مغامراته. ويقول الناقد والكاتب موريس سنداك انه من خلال كتابة هذه القصص استهلّ جان "عملا غيَّر وجه الكتاب المصوّر الى الابد." وقد أُنجزت حتى الآن ١٩ رواية عن بابار ترجمت الى ١٨ لغة ونالت اقبالا عالمياً.

كان من السهل على الطفلين أن يتعرفا الى نفسهما من خلال مواكبتهما بابار. فقد عاشا هما أيضاً بالقرب من غابة كبيرة تقع خارج بلدتهما شيسي. وكانت باريس تبعد عنهما مسافة ثلاثين كيلومتراً فقط. وجعل والدهما من بابار نموذجاً للاب الذي يود أن يكون هو على مثاله، لطيفاً دمثاً متفانياً مغامراً.

فيل باريسي. كان جان دي برونوف رساماً شاباً موهوباً ولكن غير ناجح. وقد أثارت فيه رواية الفيل اليتيم في الغابة حبه للالوان الغنية النابضة بالحياة، وأظهرت لمسته الخفيفة التي تغير بضربة قلم التعبير في عيني بابار الصغيرتين من الاسى الى السعادة ومن الفضول الى المكر.

ألّف جان كتب بابار بمساعدة ابنيه اللذين كانا تارة مشاهدين وطوراً معاونين. فإن خالجه شك في بعض التفاصيل لجأ اليهما طالباً النصح. كان يسألهما عن ألوان ثياب "الشخصيات" مثلاً. كما كانت لهما آراء في اختيار الحيوانات التي يجب اظهارها تكراراً. فهناك مثلا "زفير" القرد الصديق، وأقرباء بابار "أرتور" الشقي بلباسه البحري و"سيليست" الجميلة و"كورنيليوس" الجنرال الحكيم والفيل الوحيد الذي يحفظ عن ظهر قلب كلمات النشيد الوطني في لغة أفيال الماموث المنقرضة.

احدى الشخصيات الرئيسية في الرواية هي العجوز التي عثرت على بابار في المدينة ومدت له يد العون. كان

COURTESY OF HACHETTE

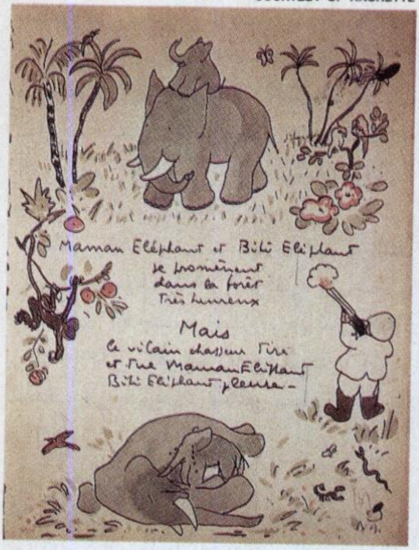

رسم ملوَّن لمقتل أم بابار في "قصة بابار." (الى اليمين) بابار وزوجته سيليست في منطاد فوق البحر في قصة "رحلات بابار."

شعرها أبيض وأنفها طويـلا كأنف "بينوكيو"، لكنها في الحقيقة شديدة الشبه بسيسيل دي برونوف، رقيقة وعملية وتجيد العزف على البيانو. وقد حرصت هذه العجوز على أن يرتدي بابار أفخر الملابس وأن يلقى خير عناية. ولم تقف في طريقه يوم تملكه الحنين الى الغابة فعاد اليها وتزوج سيليست. ولدى وصوله الى الغابة بدا وقوراً بلباسه الاخضر وعاداته "الباريسية" مما حدا الفيلة على انتخابه بالاجماع ملكاً عليها بعد وفاة الملك العجوز من جراء تناوله فطراً ساماً.

بعد انجاز الرسوم المائية كان جان دي برونوف يجمعها في دفتر كبير ويدون على هوامشها تعليقات شارحاً تطور القصة.

وفي العام ١٩٣١ خطر ببال شقيق جان وصهره، وكانا ناشرين لمجلة، أن أطفالا آخرين قد يحبون مشاركة لوران وماتيو في بهجتهما، فأعدا العدة لنشر "قصة بابار" في مجلد قبل الميلاد.

تولع الاطفال وذووهم منذ البداية باطار القصة الساحر وفكاهتها اللطيفة. صحيح أن بابار شخصية غريبة، اذ لا يحدث كل يوم أن يدخل فيل متجراً أنيقاً ليشتري قبعة مستديرة ووقاء لحذائه. لكنه من ناحية أخرى يبعث على الثقة. وهو عندما

يمشي في الشارع الكبير يبدو أطول من البشر بفارق رأسه فقط، اذ تعلم السير على قدمين واستعمال خرطومه لامساك كوب ماء على العشاء أو لقيادة سيارة. كان بابار مهذباً معسول اللسان وهادئا ودوداً يمكن الاعتماد عليه.

لاقى الكتاب نجاحاً فورياً في فرنسا. وعندما تصفحه ناشر أمريكي في احدى المكتبات الفرنسية افتتن به وسارع الى زوجته لكي تترجم له القصة. ونشر الكتاب في نيويورك ولاقى نجاحاً تجارياً مماثلا.

موت بابار! اكتفى جان دي برونوف بتأليف كتاب واحد جديد في السنة يعالج فيه "الملك الشاب" أنواع التحديات والمعضلات.

بنى بابار مدينة نموذجية لرعاياه أطلق عليها اسم سيليستفيل (مدينة سيليست). وجعل كل منزل فيها يشرف على النهر. وابتكر استراتيجية لصد جيش غاز من وحيد القرن. واقتحم مرة عاصفة ثلجية قاسية بحثاً عن منزل "بابا نويل" لانه أراد أن تحصل الفيلة الصغيرة على هدايا للميلاد على غرار الاطفال الصغار.

بحلول العام ١٩٣٧ ظهرت خمس كتب عن بابار. وبعدما ذاع صيت جان دي برونوف في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، وكان في السابعة والثلاثين من عمره، شرع في تأليف رواية "بابار في المنزل" لتحضير لوران وماتيو لتقبل شقيقهما الجديد تييري. وقد روى هذا الكتاب كيف ترعرعت توائم بابار الثلاثة "بوم" و"فلورا" و"ألكسندر" في كنف أسرة حنونة ومهذبة أيما تهذيب.

في تلك الفترة بدأ جان يعاني أوجاعا متواصلة في ظهره تبين لاحقاً أنها ناتجة من سل في العظام. وكان العلاج الوحيد المتوافر تلك الايام اللجوء الى مناخ الجبل. فدخل جان عام ١٩٣٦ مصحاً في جبال الالب. وبعد فترة قصيرة ظهرت رواية "بابار في المنزل" بالاسود والابيض في حلقات متسلسلة في مجلة "ديلي سكتش" اللندنية. وتقرر تعقيبها بمجلد كامل الالوان. لكن جان بات خائر القوى وعاجزاً عن حمل فرشاة.

ويتذكر لوران يوم ودّع والده في أواخر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٧ ليلتحق بمدرسته في باريس: "ما زلت أسمع الصوت الذي انبعث من بين شفتيه. كان همهمة، كأنه حاول أن يقول: أرجوكم لا تذهبوا." وتوفي جان بعد أقل من ثلاثة أسابيع، وكان لوران آنذاك في الثالثة عشرة من عمره، فواجه سخرية القدر تماماً كما فعل بابار الصغير يوم قضت أمه.

عام ١٩٣٨ نشرت دار "هاشيت" في فرنسا رواية "بابار في المنزل" بألوان أضافها فنان في اشراف شقيق جان. ولوّن لوران صفحتين من الكتاب، وكان منذ العاشرة من عمره يملأ دفاتره برسوم فيلة. واتفق الجميع على أن مشهد الحضانة ذاك، حيث اجتمعت الاسرة بكاملها حول الاطفال، كان لافتاً ومفعماً بالحياة اكثر من سواه. ولكن عندما سألت

دار "هاشيت" سيسيل عما اذا كانت تحبذ اكمال السلسلة أجابت بأن بابار مات بموت زوجها.

بيع المنزل في شيسي ذلك العام، وانهار العالم باندلاع الحرب. وتعين على عائلة برونوف أن تتدبر أمرها وسط الحرمان والخوف من الاحتلال.

مغامرات جديدة. نجح لوران عام ١٩٤٤ في امتحانات البكالوريا* وكان تواقاً الى دخول عالم الفن على خطى والده وقال: "أنا حالم مثل أبي." وعلى رغم أنه كان موهوباً وبارعاً مما أتاح له عرض أعماله في "غاليري مات" في باريس أواخر الاربعينات، الا أنه لم يتخل عن رسم فيلة ترقص وتغوص في الماء وتلعب بكرة المضرب. فبابار كان جزءاً من عائلته ومن دفء الماضي يوم كان والده على قيد الحياة يصطحبه للتزلج وركوب الزوارق ولعب "الغميضة" والاستماع الى القصص. وهو شهد ولادة بابار ونشأته. ويقول لوران اليوم: "ان احياء بابار يعني، الى حد ما، احياء أبي."

عام ١٩٤٦ فكر لوران في انتاج كتاب والاستعانة بشخصيات ابتكرها والده على أن ترسم وتلوّن بأسلوب والده. وفرحت والدته كثيراً بالفكرة. واذ لم يكن مهيأ بعد لتكريس كتاب لبابار نفسه، فقد وضع كتاباً حول "أرتور" ابن عم بابار. كانت القصة بعنوان "ابن عم بابار: أرتور الشقي" وتمحورت حول الشقي الصغير الذي فر الى مطار سيليستفيل بينما كان بابار وأولاده الثلاثة المهذبون على شاطىء البحر. تسلق أرتور ذيل طائرة ليختبر المنظر من علٍ، وأقلعت الطائرة. فأشفق عليه أحد الركاب الفيلة فاستعمل تقنية "من خرطوم الى خرطوم" وجذبه داخل الطائرة من خلال النافذة. غير أن الطيار العصبي أعطاه مظلة ورماه خارج الطائرة. وانتهت رحلته بهبوط سليم.

هبط أرتور في غابة نائية تسكنها حيوانات الكنغر المضيافة. وعاش سعيداً بينها، لكن الفيل الصغير الطيب داخله شعر بضرورة العودة الى الوطن على رغم ادراكه أن توبيخاً صارماً ينتظره. فانطلق واجتاز مناطق مجهولة محفوفة بالمخاطر. ووصل أخيراً الى بلدة عربية. ومن كان ينتظره هناك؟ بابار طبعاً الذي بحث عنه طويلا. وانتهت المغامرة بجلسة سعيدة حول أطباق من الفاكهة والفطائر.

ان التفاني الذي أبداه بابار في البحث عن أرتور ينسجم وتصرفاته المثالية، اذ أكثر ما يميزه عن سواه الاخلاص، أو ما يسميه لوران دي برونوف "الصداقة الحارة."

بعد انجاز "ابن عم بابار: أرتور الشقي" كرّس لوران وقته لبابار. وترافق الاثنان طوال ٤٥ سنة ملؤها الاخلاص. عاش لوران حياته على طريقة بابار، فكانت هانئة تخضع لسلطة الضمير. وتزوج بعد انجاز كتابه الاول وأنجب

(*) البكالوريا هي الشهادة الرسمية بانتهاء مرحلة التعليم الثانوي في المنهاج التربوي الفرنسي.

ولدين واستمر في تأليف مغامرات جديدة.

أب مثالي. كان انجاز كتاب واحد يستغرق سنة كاملة، منذ ولادة الفكرة حتى آخر لمسة تضفى على اللون والحوار. وربما استوحيت أحداث القصة أثناء نزهة في حديقة المنزل أو من مناظر استمتع بها لوران في رحلاته أو من خلال صور.

قلّة من القراء لاحظت تغيُّر الكاتب، مما سهل على لوران "ارتداء عباءة والده." لكن العنصر الاهم هو أن لوران لم يرثِ فن والده فحسب، بل قيمه أيضاً. فهو طُبع بالحنان والعاطفة والواجب والمسؤولية والتزم قيم العائلة المحافظة. فجسَّد بابار بصدق وهو يلعب مع أولاده أو يقف وزوجته متشابكي الذراعين يحدقان الى القمر.

لكن هذا لا يعني أن بابار لم يكن مغامراً أيضاً. فقد حلَّق في منطاد وركب ظهر حوت وسبر الكهوف الجوفية وطار الى الفضاء الخارجي وعثر على الـ "وولي وولي"، وهو جنس جديد من الحيوانات، وصادف شبح البارون باردولا. لكنه في النهاية كان يعود دائماً الى منزله حيث سيليست والاولاد والطعام الجيد وموسيقى فرقة الفيلة العسكرية.

لوران اليوم في الخامسة والستين، وما زال محافظاً على جسمه الناحل الرشيق. ويعمل يومياً على طاولة رسم في منزل كبير قديم ضمن حرم جامعة وسليان في كونيتيكت حيث تعلّم زوجته الثانية الكاتبة فيليس روز مادة الادب.

ظهر ملك الفيلة خلال السنتين المنصرمتين على جمهور العالم من خلال فيلم سينمائي وبرنامج تلفزيوني. ويعتقد برونوف أن ما من سبب يحول دون استمرار بابار، فسيبقى على الدوام الاب والمستكشف ورجل الدولة والصديق المتسامح الهادىء الصارم الوفي في آن. ان وقع أحد أبنائه في الماء وواجه مشكلة فهو لن ينتظر السباح المنقذ بل سيغوص بنفسه لينتشله. واذا حصل حدث مثير في سان فرنسيسكو أو في قصر مهجور فسيذهب لمشاهدته. وستبقى مروج قصره "بونترومب" خضراء متقنة على الدوام. وستعانقه أجيال أخرى من الاولاد لانه يمدها بالدفء والسعادة.

روبرت فرنيك ■

أسرعي يا زهرة

كنتُ جالسة الى مكتبي في المخزن الكبير حين لمحتُ يداً تمتد فوقي لتلتقط الميكروفون (المذياع) الذي نتوجه به الى الزبائن. فلم أكلّف نفسي عناء التطلع لمعرفة صاحب اليد، مفترضة انه أحد المديرين المساعدين. وما لبثتُ أن سمعتُ صوت رجل يلعلع عبر مكبّر الصوت: "اسرعي يا زهرة، فأنا جاهز للذهاب."

ب.ي.

عبارات تجترح معجزات

تأخذ ثانية من وقتك لكن تأثيرها يبقى أبداً

أسرَّت مدبرة منزل شابة الى جارتها العبارات الآتية: "قد أعتاد على لامبالاة الآخرين بما أقوم به عندما أبلغ المئة من عمري. ولو أن زوجي يطريني بين حين وآخر لكانت حياتي أسعد بكثير."

قليلون بيننا الذين يدركون كم نحن بحاجة الى التشجيع في حين أن علينا التنعم، من وقت الى آخر، بحرارة الثناء والا فقدنا ثقتنا بأنفسنا.

جميعنا بحاجة الى من يشعرنا بأننا مثار اعجاب ومصدر عون. ولكن كيف لنا أن ندرك أننا، زملاء أو أصدقاء، موضع تقدير اذا لم نسمع كلمات المديح؟

على من يريد تحسين علاقاته بالآخرين ان يبدي لهم تفهماً وودّاً خالصاً. وتعبيراً عن هذا التفهم، ومن اجل منح الآخرين شعوراً بالاهمية والتقدير، لا بد ان نبرز فيهم ميزات تستثير الاعجاب والثناء ونعددها لهم.

يحتفظ كل منا بصورة ذهنية عن ذاته. وعلينا أن نعايش هذه الصورة الذاتية ونحبها حتى نجد الحياة مرضية الى حد ما. وعندما تصبح هذه الصورة مدعاة فخر، نمتلىء ثقة ونشعر بأننا أحرار في أن نكون ما نحن ونعيش حياتنا على افضل وجه. ولكن حين نخجل من صورتنا الذاتية نعمل على إخفائها بدلا من التعبير عنها ونتحول اشخاصاً عدائيين يصعب التعاطي معهم.

وتحدث معجزة للمرء الذي يجزل احترام ذاته، إذ يصبح، فجأة، أكثر لطفاً وتعاوناً ويزداد حبه للناس. فالمديح هو بمثابة عملية صقل تبقي الصورة الذاتية لماعة متألقة.

ولكن، ما علاقة هذا بثنائك على الآخرين؟

إنها، في الواقع، علاقة وثيقة جداً. فانت تملك القدرة على اجتراح هذه المعجزة لدى الآخرين، وحين تزيد من احترامهم لانفسهم، تدفعهم الى التعلق بك والتعاون معك.

حرارة تذيب الجليد. نصح اللورد شسترفيلد[1] ابنه أن يحذو حذو دوق دي نيفرنوا[2] الذي قال: "سوف تدرك أن من يحمل الناس على الشعور بالرضا عنه هو الذي يجعلهم يرضون أولا عن أنفسهم."

يمكن تأثيرات المديح ان تكون كبيرة جداً في الواقع. فقد أوفد مرشد روحي للاهتمام بشؤون رعية لقبت "الثلاجة" لما عرف عن أفرادها من تحفظ حيال الغرباء، فارتأى تحاشي توجيه الانتقادات إليها وشرع، عوض ذلك، يرحب بالزوار اثناء القائه عظاته ويثني على ابناء رعيته لسلوكهم الودي. ومع الوقت تمكن من رسم الصورة التي أرادها ان تترسخ في اذهان ابناء الرعية مانحاً اياهم شهرة في الجوار تجعلهم قدوة للآخرين الامر الذي دفعهم الى التخلي عن عدائيتهم ازاء الغرباء.

المديح والصدق. تزداد فاعلية المديح اذا ما تلازم والصدق. فبعد يوم عمل شاق، ليس هناك ما يثلج صدر الاب مثل رؤيته اولاده وقد التصقت وجوههم بزجاج النافذة مترقبين عودته بصمت يضج بصدق التقدير والاعجاب.

ويساعد الاطراء في إزالة التوتر الذي يولده الاحتكاك اليومي مع الناس. ولا يصح هذا في أي أمر كما في الزواج. الا ان الاطراء قد يحظى بأقل نسبة من التقدير في المنزل الزوجي بخلاف أماكن أخرى. والزوج الحريص دائماً على التفوه بعبارات التشجيع في الوقت المناسب يبدو انه ألم باحدى اهم متطلبات الحياة العائلية السعيدة.

والاطفال، خصوصاً، متعطشون للثناء والتقدير. احرصوا على ايجاد ما يستحق الثناء لدى أولادكم وستكتشفون تحسناً ملحوظاً في تصرفاتهم وقدراتهم.

ان التشجيع، من خلال الاطراء، هو الوسيلة الافعل لجعل اولادكم يبذلون أفضل ما في وسعهم.

وكما يجد الفنانون متعة في اضفاء الجمال على الآخرين، كذلك سيجد من يمارس فن الاطراء ان هذا عطية للواهب والمتقبل على حد سواء. وقد صح المثل القائل: "ان الازهار تترك بعض أريجها في يد من يهبها."

غوتفريد ر. فون كروننبرغ ■

(١) مؤلف ورجل دولة بريطاني (١٦٩٤ - ١٧٧٣) في كتاب "رسائل ايرل شسترفيلد الى ابنه."
(٢) السفير الفرنسي في روما آنذاك.

نحن لا نربي أبطالا، بل أبناء. واذا عاملناهم كأبناء فسوف يغدون أبطالا، وإن في عيوننا نحن.

ولتر شيرا، والد احد رواد مركبة "ابولو" المأهولة الاولى

جنون المخدرات

بؤرة المخدرات المفتوحة في نيدل بارك حيث يعيش ٣٠٠ مدمن ويتوافد ألوف آخرون.

تساهلت السلطات السويسرية طويلا حيال تجارة المخدرات وتعاطيها بحجة أن المدمنين يحتاجون الى تفهم وليس الى عقاب

ذات صباح قارس البرد من يناير (كانون الثاني) بدا جورج متردداً وهو يعبر جسر المشاة الحديد الذي يعلو نهر ليمات ويؤدي الى بلاتسبيتز، الحديقة العامة في زوريخ. قال لي هذا الشاب الناحل ابن الخمسة والعشرين: "يعتريني شعور مخيف عندما أعبر فوق هذا النهر. ففي الجهة المقابلة أحصل على المخدرات، ولكن هناك أيضاً تتربص بي عصابة من الألبان هددت بقطع عنقي إن أنا لم أدفع ما علي... ولا قدرة لي على الدفع."

PHOTO: SIPA — PRESS

لكن الحاجة الماسة الى حقنة جديدة استبدت بجورج، فانطلقنا الى وجهتنا. وعندما ولجنا الحديقة رأينا عشرات الرجال والنساء يحقنون أنفسهم بالمخدرات. ومشى في اتجاهنا، مترنحاً، رجل ممتلىء الجسم استعان بكلتا يديه لغرز ابرة في عنقه. ثم مال وهوى، فارتطم رأسه بالرصيف ومكث بلا حراك والمحقنة عالقة بجلده.

توجه جورج نحو كوخ أحاط به حشد من المدمنين المترنحين. هناك حصل على محقنة نظيفة مجاناً، واشترى مخدراً من تاجر ينتظر في الخارج. ثم عاد بعد ثلاث دقائق وجلس على حافة حجرية وكشف عن ذراعه اليسرى التي ملأتها الكدمات وشدها بشريط ضاغط حتى انتفخ وريد، ثم غرز الابرة بتأن تحت مرفقه.

***

حديقة بلاتسبيتز المعروفة باسم "نيدل بارك" (أي حديقة الابر) هي أسهل أسواق المخدرات منالا في العالم. تبلغ مساحتها ٦٨ ألف متر مربع وتقع على ملتقى نهري سيل وليمات قريباً من المتحف الوطني والمحطة المركزية للسكك الحديد في المدينة، وتبعد بضع مئات من الامتار عن بانهوفستراس أحد أفخم الشوارع التجارية في العالم.

وتتم في هذه الحديقة، على مدار اليوم، عمليات بيع وشراء واستهلاك للحشيشة والهيرويين والكوكايين وغيرها من أنواع المخدرات. ويعيش فيها، حتى في فصل الشتاء، نحو ٣٠٠ مدمن من دون ملجأ أو مراحيض أو وجبات طعام منتظمة. ويعرّج على الحديقة نهاراً ما معدله ٢١٠٠ مدمن وآخرون ممن يتعاطون المخدرات اتفاقاً. وقد يصل عدد هذا الحشد الى ٤٠٠٠ في عطل نهاية الاسبوع.

وترتكب في هذه السوق الصاخبة يومياً اعتداءات وسرقات وأعمال اغتصاب. وقد قضى ١٧ مدمناً في السنتين الاخيرتين بسبب تناولهم جرعات مفرطة، وقتل أربعة آخرون بينهم شاب يدعى بيتر وهو بائع مخدرات في الثالثة والعشرين كان دائم الالحاح على أمه المريضة بالسرطان لتمده بالمال. وحين توسل اليها من جديد قال لها: "أرجوك، انها المرة الاخيرة." وبعد أيام عثر على جثته طافية في نهر ليمات وقد أوثقت يداه ورجلاه وكمّ فمه بشريط لاصق. واعترف مدمنان في التاسعة عشرة والثالثة والعشرين بأنهما قتلا بيتر على أثر شجار.

"سكَّر! سكَّر!"

ولد جورج وترعرع في بلدة صغيرة من كانتون أرغوفيا. وكان والده تقنياً كادحاً ووالدته نادلة، وكانا يحلمان بمستقبل باهر لابنهما. لكن هذا لم يبرع في العلم، وترك المدرسة وهو في السن الخامسة عشرة، وبدأ التمرس طاهياً في مطعم في بلدة مجاورة. وكان كل مساء، في طريق العودة الى منزله، يمر أمام "مركز الشباب المستقل" في زوريخ الذي أغلق لاحقاً

بسبب تفشي ادمان المخدرات فيه. وسرعان ما راح جورج يتردد على المركز بانتظام وبدأ يدخن الحشيشة.

ولما بلغ السادسة عشرة جرب الهيرويين، ولم يلبث أن تخلى عن تعلم مهنة الطهو. واكتشف والداه أمره أخيراً وانكرا بنوّته بعدما سرق سيارة والده ومبلغاً من المال. واتصلا بالشرطة وأودع جورج اصلاحية في مدينة بال.

وفي السنوات الست التالية سجن جورج غير مرة، وأرسل الى مدارس إصلاحية في كانتوني سان غال وبرن. وتعلَّم البستنة في هذه الاصلاحيات. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره تدبَّر وظيفة وخطب شابة تعرّف اليها في بلدة صغيرة على مقربة من زوريخ. لكنه غرق مجدداً في حال من الاكتئاب اذ قضت خطيبته نتيجة تناولها جرعة مفرطة من المخدرات، وانتهى به الامر في نيدل بارك.

***

ظلت حديقة بلاتسبيتز طوال قرن فسحة للنزهات العائلية، بمروجها الجميلة المظللة بأشجار الدلب والقيقب والزيزفون. ثم بدأ المدمنون عام ١٩٨٥ يترددون اليها بعدما طردتهم الشرطة من أماكن تجمعهم على ضفاف نهر ليمات وبحيرة زوريخ. وبحلول العام ١٩٨٨ أحكموا سيطرتهم على الحديقة. وها هي اليوم قد غطت أنحاءها محاقن وعلب طعام فارغة، ولطخت ممراتها المرصوفة بقع دم تسربت من المحاقن المرمية، وصارت مرتعا للجرذان. وترى، أينما نظرت، ملاعق وأكواباً من الورق وإبراً وغير ذلك من المقتنيات الشخصية متناثرة هنا وهناك. وفي هذا المكان يحضر "كوكتيل" من الهيرويين والكوكايين ويعبأ في المحاقن عبر فلترات السجائر.

ويتجول تجار المخدرات في أرجاء الحديقة ويبيعون بضاعتهم ويروجون لها من غير أن يخشوا رجال الشرطة الحاضرين أحياناً.

وترتفع أصواتهم معلنة: "سكَّر! سكَّر!" ويختلط مراهقون شاحبون وشبان متأنقون بمروجين مخدَّرين فقدوا كل احساس، فيما يتمدد مدمنون آخرون على العشب أو يفترشون الارض الصلبة، لا يرد عنهم البرد سوى بطانيات رقيقة.

حقل مغناطيسي

يقول جورج: "أجوب المنطقة التجارية كل صباح مستجدياً المال. وفي ساعتين أو ثلاث ساعات أجمع نحو ١٠٠ فرنك (٧٠ دولاراً) فاعود الى نيدل بارك وأحصل على اولى جرعتين أو ثلاث أحتاج اليها يومياً." ويضيف: "التسول شاق جداً، لكنه افضل من السرقة أو الاتجار بالمخدرات أو ممارسة البغاء." ويبقيه جمع المال وشراء الهيرويين منشغلا حتى حلول الليل، فينام مفترشاً أرض الحديقة او يأوي الى "ليتندورف" وهو مجمع ثكن مجاور للمشردين.

***

تتقبل سلطات المدينة واقع نيدل بارك اعتقاداً منها أن المدمنين ليسوا مجرمين

بل مرضى يحتاجون الى مساعدة. لذا، وعلى رغم حظر تعاطي المخدرات في سويسرا، لا توقف شرطة زوريخ وغيرها من المدن السويسرية أحداً، عادة، بتهمة حيازة المخدرات. وبما أن القانون السويسري لا ينص الا على معاقبة من يبيع المخدرات بكميات كبيرة بالسجن مدداً طويلة، فقد درج تجار المخدرات في بلاتسبيتز على حمل كميات صغيرة من المخدرات يسهل التخلص منها أو الادعاء بأنها للاستهلاك الشخصي. ويقول برنار فازر رئيس قسم مكافحة المخدرات في شرطة زوريخ: "لقد أحطنا المدعي العام علماً بتجار المخدرات والمدمنين، لكن تعاطي المخدرات يعتبر مجرد جنحة خفيفة، فليس هناك ما تستطيع الشرطة أن تفعله."

وأظهرت التحريات الدورية التي تجريها الشرطة أن نصف الذين يتعاطون المخدرات هم دون السن الثانية والعشرين. وتبين عام ١٩٩٠ أن ٢١ في المئة فقط من المدمنين هم من سكان زوريخ، في حين قدم ٤٧ في المئة من مناطق أخرى في كانتون زوريخ ومن كانتونات سويسرية أخرى. ويمثل المدمنون الاجانب نسبة ١٢ في المئة، بينما لم تحدد عناوين الباقين. ويوضح توماس هاغ رئيس قسم الشرطة الجنائية في المدينة: "ان هذه الارقام تثبت أن بؤرة المخدرات في زوريخ حقل مغناطيسي يسهل فيه العثور على وسطاء وتجار."

ولما كانت مبيعات المخدرات تقدر بثلاثمئة مليون فرنك (نحو ٢٠٠ مليون دولار) فقد نشطت الجريمة المنظمة في نيدل بارك.

وفي العام ١٩٩٠ أوقف ٣٦٢ تاجر مخدرات بينهم ١١٤ سويسرياً و٦٠ تركياً و٥٠ يوغوسلافياً و٣٠ ايطالياً.

وعبر السنين، تغيرت سياسة المخدرات جذرياً في زوريخ. ففي البدء لاحقت السلطات السوق غير المشروعة أينما حاولت أن تجد موقعاً، الى أن استقرت في بلاتسبيتز حيث اعتقدت السلطات أنه يسهل احتواؤها. وترى الحكومة الحالية للمدينة ضرورة السماح ببقاء بؤرة المخدرات هذه "في الوقت الحاضر" ومساعدة المدمنين من خلال الحاقهم ببرامج تأهيل شاملة يمولها القطاعان العام والخاص.

وكانت النتيجة أن نشط نحو ٤٠ مؤسسة رسمية وخاصة في تأمين استشارات نفسانية وفرص عمل وعناية طبية للمدمنين. وللمثال، افتتح في الحديقة فرع لـ"البرنامج الرائد لمكافحة الايدز" في كوخ يؤمن للمدمنين مساعدة طبية ومحاقن مجانية. (أظهرت الاحصاءات أن نحو ٢٠ في المئة من المدمنين في الحديقة يحملون فيروس الايدز.) كما يوزع البرنامج "طواقم" ابر يحتوي كل منها على ثلاث محاقن ومطهر ومواد كيميائية لاذابة المخدرات وتعليمات عن الطريقة الصحيحة للحقن تنتهي بعبارة "جرعة منشطة!"

يؤكد جورج: "أنا ضد نيدل بارك. فهي مكان فاسد. وقد حاولت مراراً التخلص من عادة الادمان لأبدأ حياتي من جديد، لكنها خطوة صعبة، خصوصاً أن هناك متجراً كبيراً للمخدرات يؤمن كل الخدمات مجاناً"

مهزلة قانونية

اقترحت سلطات المدينة في مايو (أيار) ١٩٩٠ إنشاء ثلاث "غرف جرعات" حيث يحقن المدمنون أنفسهم تحت إشراف طبي. وتقول اميلي ليبرهر وهي عضو في مجلس الشورى في المدينة: "هذه الغرف مهمة جداً طبياً، فهي تساعد على تفادي انتشار الايدز." والى ذلك، تبرر حكومة المدينة اقتراحها بحاجة المدمنين الى أمكنة دافئة في الشتاء لحقن أنفسهم، حيث تتوافر ابر نظيفة واشراف طبي جاهز. ويدعو الجزء الثاني من مشروع ليبرهر المقترح، والذي تبلغ موازنته ٢٦ مليون فرنك (١٨ مليون دولار) الى توسيع نظام الدعم الحالي وإنشاء مراكز استشارات جديدة ومقاهٍ ووضع برامج عمل وتسهيلات سكنيّة تشرف عليها السلطات.

وفي ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ صوّت سكان زوريخ ضد انشاء "غرف الجرعات"، لكنهم وافقوا على الجزء الثاني من المشروع "الاجتماعي."

وتقدمت ليبرهر باقتراح أكثر اثارة للجدل حين دافعت عن فكرة توزيع الهيرويين تحت اشراف طبي على الاشخاص الذين بات صعباً عليهم التخلص من الادمان. وفوق ذلك، تعهد مجلس شورى المدينة في بيان نشر في يوليو (تموز) ١٩٩٠ العمل على جعل تعاطي المخدرات قانونياً.

ونتيجة ذلك بدأ صبر سكان زوريخ ينفد. وحذر المدعي العام لينو ايسيفا من عواقب هذه الخطوة قائلا: "ان الدفاع عن حرية تعاطي المخدرات يعني إطالة عمر هذه البؤرة وإضفاء الشرعية على ترويج المخدرات واستسلام مجتمعنا لتجارها."

ويقول هاغ: "لقد عانى ألوف المواطنين مساوىء هذا الوضع. ففي العام ١٩٩٠ وحده ارتكب مدمنو المخدرات أكثر من ٤٠ عملية نشل و٣٠٠ عملية سرقة وأكثر من ٣٠٠٠ سطو في زوريخ للحصول على المخدرات."

وازداد العنف في أرجاء المدينة. ففي العاشرة من مساء ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ هاجم رجلان شابة كانت تهمّ بركوب قطار في محطة زوريخ، على مرأى من شهود لم يتدخلوا خوفاً. وهما ضرباها على وجهها وانتزعا حليها وأجبراها، تهديداً بسكين، على مرافقتهما الى نيدل بارك حيث اعتديا عليها.

ويزداد خوف السكان بارتفاع نسبة الجرائم المرتبطة بالمخدرات. جانيت زلفيغر قيِّمة على مبنيين سكنيين في الوسط التاريخي لمدينة زوريخ، وهي لا تجرؤ على الخروج بمفردها بعد الحادية عشرة ليلا خوفاً من الاعتداءات. وتنصرف في الصباح الى إزالة المحاقن

المرمية في فناء المبنيين قبل عبور أولادها الباحة في طريقهم الى المدرسة.

ويعيش أصحاب المتاجر والمطاعم هاجس هرب الزبائن والتعرض المتكرر للسرقة. ويشتكي أحدهم من الوضع السائد قائلا: "يسرق المدمنون كل ما تقع عليه أعينهم. وقد تعرضنا للسرقة خمس مرات في شهرين."

ويستبد القلق بالأولياء والمعلمين الذين يخشون تأثير اغراءات المخدرات في أولادهم وطلابهم. ويقول اميل غرابير وهو استاذ في مدرسة مهنية مجاورة وعضو في برلمان المدينة: "ان نيدل بارك كارثة حلت بنا. لقد اجتاح المدمنون مدرستنا وراحوا يحقنون أنفسهم في المراحيض ويسرقون السيارات من المرأب." وتخضع مداخل المدرسة للحراسة، وقد سيّج فناؤها احتياطاً.

وتنامت نقمة السكان وعلت تساؤلاتهم حول أسباب انتشار بؤرة المخدرات وارتفاع نسبة الجرائم بهذه السرعة على رغم الملايين التي تنفق لمعالجة الوضع. ويقول هانز فراي رئيس مركز "فرنكنتال" لاعادة تأهيل المدمنين: "ان سياسة المساعدة المكثفة المتبعة منذ ١٩٨٩ تجعل المدمنين أكثر اتكالا على المجتمع." ويضيف هاغ: "لم يعد المدمنون في حاجة الى مواجهة مشاكلهم. فمنذ بدأ مجلس مدينة زوريخ تقديم خدماته اليهم عام ١٩٨٩ في بلاتسبيتز، اتسعت بؤرة المخدرات واجتذب نيدل بارك مدمنين من أنحاء سويسرا والدول المجاورة. ان في هذا الدعم مؤشراً لقبول رسمي، ان لم يكن تشجيعاً على تعاطي المخدرات."

وأكد مندوبو شرطة زوريخ في قرار أصدر في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ أن السياسة المتبعة في معالجة قضية المخدرات تهزأ بالقانون. وأعلن دنيال فوهرر رئيس اتحاد الشرطة المدنية: "يقع اللوم على مجلس المدينة إن هو تقبل واقع المخدرات."

وفي ٣ ابريل (نيسان) ١٩٩١ أعلن أولي فيدر المدعي العام لكانتون زوريخ أن شرطة المدينة ستكثف عملياتها ضد الجانحين المدمنين.

"أنا مصاب بالايدز!"

يقول جورج: "أنا مصاب بالايدز، ولا أعلم ما اذا كان لدي أمل بالشفاء. ولكن في وسع الذين لا يحملون هذا الفيروس أن يبدأوا حياة جديدة. الامر منوط بهم. وأهم من ذلك، يجب تحذير الشباب من مخاطر تعاطي المخدرات، وإن جرعة واحدة، وابعادهم عن نيدل بارك الكفيل بتدمير حياتهم."

***

يقدر عدد مدمني المخدرات في سويسرا بنحو ١٥ ألفاً. وقد ابتليت مدن سويسرية أخرى مثل بال وبرن وسان غال ببؤر مخدرات. ولكن ليس هناك مكان يتجلى فيه البؤس كما في نيدل بارك. وواضح أنه آن الاوان للسيطرة على هذه الآفة.

فماذا يتعين على السويسريين أن يفعلوا؟

▫ أن يقولوا "لا" للمخدرات. يؤكد هوغ: "ان رفض كل أنواع المخدرات هو الطريقة الوحيدة لمحاربة الادمان." وعلى الأولياء والمعلمين والشرطة والقادة السياسيين شن حملات منسقة لاطلاع الجمهور على مخاطر المخدرات ووضع عراقيل تصعِّب الحصول عليها.

▫ وقف نشاط تجار المخدرات. تعمل دول أوروبية، مثل ايطاليا وأسوج (السويد) وهولندا، على أخذ اجراءات صارمة في حق تجار المخدرات ومدمنيها. حري بسويسرا أيضاً ملاحقة تجار المخدرات ومحاكمتهم بفاعلية أكبر. يقول هوغ: "لانجاز هذه الخطوة، علينا زيادة العناصر والموارد في دوائر الشرطة والجمارك ومكافحة المخدرات." ويشدد بيتر سبالتي، العضو في مجلس الشورى الوطني، على أهمية محاربة المافيا العالمية للمخدرات من خلال دعم "صندوق الامم المتحدة لمكافحة تعاطي المخدرات."

▫ وضع حد للشقاء في نيدل بارك. يقول اميل غرابير: "ان نفض بؤرة المخدرات العلنية يعني إبعاد الفضوليين والقادمين الجدد فقط." لذا يتوجب اخلاء الحديقة من المدمنين الاجانب أيضاً وإعادة المدمنين السويسريين الى مجتمعاتهم للعلاج. فبتطبيق هذه التدابير تصبح زوريخ في موقع أفضل يخولها مساعدة مدمنيها هي ووضع حد لبؤرة المخدرات في نيدل بارك.

▫ مساعدة المدمنين ليساعدوا أنفسهم. وهذا يعني تأمين برنامج علاج شامل للمدمنين في مركز اعادة تأهيل خاص وليس داخل بؤرة مخدرات مشرّعة الابواب، وتحميلهم تبعة أعمالهم وإرغامهم، عند الحاجة، على الخضوع للعلاج أو على تنفيذ فترة عقوبة.

إن إزالة نيدل بارك وبؤر المخدرات في أجزاء أخرى في سويسرا هي مسؤوليتنا. لكن لا يمكن التعويل كلياً على البرامج التي تمولها الحكومة.

ان الانتصار في هذه الحرب على المخدرات يتطلب تصميماً ومثابرة من المسؤولين والتزاماً من الشعب.

***

تراود جورج أحلام حلوة أيضاً: "سوف أتخلى عن المخدرات قريباً، وأستقر في الجبل مع أصدقائي. أمنيتي أن أصبح حرفياً فنياً وأن أعزف على الغيتار وأبتعد عن المشاكل. أنا لا أحتاج الى شفقة. لقد تعلمت أن أحداً لا يستطيع مساعدتي ما لم أساعد نفسي."

رينه غييه ■

لن يتمكن علماء الارصاد الجوية من حل اسرار الطقس حتى يفهموا العلاقة الحميمة بين المطر وعطلة نهاية الاسبوع.

ش. س.

عمل الزوجة مشروع انتحار؟

الواجبات المنزلية لا تُمهل والوظيفة تأكل ساعات النهار
والاولاد يأكلون ويمرضون ويشاغبون
فماذا يفعل الزوجان العاملان؟

تشتكي ايمي فيلن: "لدي وظيفة جيدة وأنا سعيدة مع زوجي وقد رزقنا الله ولدين رائعين، لكننا نكاد لا نمسك زمام حياتنا العائلية، إذ ان ارتباطاتنا اليومية تقيدنا بحيث بات كل شيء معرضاً للانهيار."

ايمي مدرّسة في الحادية والاربعين من العمر، وزوجها دون محام في الثانية والاربعين، ولهما ولدان: ديفيد (٨ أعوام) وكاترين (٣ أعوام). وحين تكون الامور "على ما يرام" توقظ ايمي زوجها صباحاً بعد أن تستحم. ثم تملأ فنجان قهوة مخصصاً للاستخدام اثناء الانتقال في السيارة، وتنطلق الى مدرستها في تمام السابعة والثلث. ويوقظ دون الولدين ويعد لهما طعام الفطور، ثم يوصل ديفيد الى المدرسة وكاترين الى روضة الاطفال، ويتوجه الى مركز عمله في الوسط التجاري للمدينة.

تصطحب ايمي الولدين بعد انتهاء

CONDENSED FROM PREVENTION (JUNE '91), © 1991 BY RODALE PRESS, INC., EMMAUS, PA.
WITH ADDITIONS BY THE AUTHOR. ILLUSTRATION: GREG DEARTH

الدوام المدرسي، فتوصل ديفيد الى النادي الرياضي، في طريقها الى المنزل حيث تعد العشاء قبل أن تعود الى النادي لاحضار ديفيد، وتبقي الطعام ساخناً الى حين وصول زوجها أو حتى يشعر ديفيد وكاترين بالجوع. ولا يكاد الولدان يغفوان حتى يكون التعب استبد بالزوجين فيتهالكان على سريرهما وينامان.

لكن الامور لا تسير دائماً على هذا المنوال، وإذا بالمشكلات تتوالى الواحدة تلو الاخرى بوتيرة تفقد الصواب. فتلمّ بأحد الولدين وعكة صحية، أو يطول اجتماع ما، أو تشهد الطريق الرئيسية ازدحاماً في حركة السير. وفي كل مرة يضطر دون وايمي الى التلاعب ببرامج مواعيدهما ومعاناة كآبة وقلق يعرفهما كل زوجين عاملين. ويحدث أحياناً أن يصب أحدهما جام غضبه على الاخر.

يقول دون: "نحاول ألّا ندع الاجهاد يؤثر في علاقتنا، ولكن من المستحيل أن تبرع في عملك وأن تكون والداً وزوجاً ناجحاً في آن. فالتوتر ينال منا أحياناً وننهار."

ولا توفر وطأة الاجهاد أحداً، لكن الازواج العاملين يتعرضون لضغوط لم تكن شائعة في الماضي. ويصعب حاضراً انشاء أسرة من دون تأمين دخلَيْن. وعلى كلا الزوجين أن يعملا ويتقاسما المسؤوليات الاسرية. ولكن من شأن تضارب هذه الالتزامات المزدوجة أن ينال من القدرات الكفاحية لأي انسان.

يقول آلن الكين مدير "المركز الاستشاري لمعالجة الاجهاد" في مدينة نيويورك، إن بعض الازواج العاملين الذين يستشيرونه لا يتحادثون أكثر من ١٥ دقيقة يومياً، ويقتصر معظم حديثهم على مسائل منزلية كدفع الفواتير والاهتمام بالأولاد. ويضيف: "لقد بلغ بهم الانهاك حداً اضطرهم الى العزوف عن نشاطات تدخل المرح الى علاقاتهم."

وتتمثل الاشارة الاولى الى تدهور العلاقة بين الزوجين العاملين في فتور العلاقة الجنسية بينهما. ولكن تسبقها أعراض أخرى مثل حدة الطبع ونفاد الصبر وافتقاد روح الدعابة والأرق وتناول الكحول أو الادوية على نحو متزايد وشعور عام بأن الحياة لم تعد حلوة. ويشرح الكين الأمر: "إن لم تستمتعا بأوقاتكما خارج السرير، فمن الصعب أن تجدا هذه المتعة في العلاقة الجنسية."

اذاً، ماذا يمكن الزوجين العاملين أن يفعلا؟

اليكما ما يقترحه الخبراء:

١. **ضعا قائمة**. يقول الكين: "يعتقد معظم الازواج أنهم يعرفون أسباب انزعاج شركائهم، لكنهم غالباً ما يجهلونها في الحقيقة."

ليخصص كل منكما نصف ساعة لوضع قائمة بالامور التي تزعجه، ثم قارنا القائمتين. فقد تفاجآن. واقسما القائمة قسمين: الامور التي يمكنكما تغييرها والامور التي تعجزان عن تغييرها. وليكن جزء من دعائكما:

"امنحني يا رب صفاء لتقبل الامور التي لا أستطيع تغييرها، وشجاعة لتغيير الامور التي أستطيع، وحكمة لأفرّق بين هذه وتلك."

٢. دققا في موازنتكما. ما هو المبلغ الذي تحتاجان اليه فعلا؟ يقول ريتشارد فريدمان وهو اختصاصي بمعالجة الارهاق وأستاذ في الطب النفساني في جامعة نيويورك: "قد لا تكونان، كلاكما، مضطرَّين الى العمل دواماً كاملا. قد لا تتمكنان من شراء سيارة جديدة أو تمضية اجازة خارج البلاد إن لم يعمل أحدكما طوال النهار، ولكن من المحتمل جداً أن تشعرا بسعادة أكبر."

رأت ديبي شوستر، وهي محامية في الثلاثين من عمرها، أن التحاقها بكلية الحقوق لم يترك لها سوى وقت قصير جداً تمضيه مع زوجها وطفلهما. لذا آثرت، بعد تخرجها، العمل دواماً جزئياً.

وتقول: "لا أزال اتمنى لو تتاح لي فترة أطول مع زوجي، لكن العمل دواماً جزئياً يؤاتينا مادياً، وهو خير تسوية بين العائلة والمهنة."

وماذا اذا توجب على الزوجين كليهما العمل دواماً كاملاً للتمكن من دفع المستحقات؟ إن من شأن تدوين المصاريف أن يخفف الضغط على نحو ملحوظ.

كارين هامر معلمة سباحة في السابعة والاربعين من عمرها، وهي تتولى دفع فواتير العائلة. لكن زوجها فرانك يغتاظ إن هو لم يطلع على طريقة انفاقها المال. لذا تدون كارين في دفتر صغير كل النفقات الشهرية، بدءاً بأقساط ثمن المنزل والسيارة وصولا الى الهدايا ووجبات الطعام خارج المنزل. وتقول: "تساعدنا هذه الطريقة على معرفة وجوه انفاق المال، مما يخفف قلقنا."

٣.ضعا سلم أولويات. لنفترض أنك اتفقت مع صديق على الذهاب الى السينما، لكن زوجتك طلبت منك البقاء في المنزل مع الأولاد لأنها دعيت فجأة الى عشاء عمل. فأي منكما أحق بالخروج؟

يقول فريدمان: "إن أي تعديل في البرنامج يسبب توتراً، ولكن ليس اذا اتفقتما على الأولويات. وتبرز المشاكل عندما تبقى الأسباب مبهمة، أي عندما يقول أحد الزوجين للآخر: "لقد طرأ علي شاغل، وعليك تغيير مشاريعك." ومن منا لا يستاء من تلقي أوامر كهذه؟"

غالباً ما تتقدم المسؤوليات المهنية على سواها. ولكن من الضروري إعطاء مشاكل الشريك الأولوية. يقول ك. ديفيد جنكينز أستاذ الطب النفساني والعلوم المسلكية في جامعة تكساس: "ان الدعم المتبادل عنصر أساسي في العلاقات. أطلب من زملائك في العمل أن يقاطعوك، أيا تكن مشاغلك، عندما تتصل زوجتك وتقول إن الامر مهم."

٤. أعيدا تقويم مسؤولياتكما. ألقيا نظرة جدية على أوضاع العمل

والعائلة والالتزامات الخارجية. ما الذي تستطيعان الاستغناء عنه أو تقاسمه أو انتداب آخرين للقيام به؟ ربما يستطيع أحد الزملاء أن ينجز جزءاً من التقرير الذي تعده. أو قد تتفق مع أولياء آخرين على تناوب ايصال الاولاد الى تمارين كرة القدم. وما رأيك في إعادة النظر في رئاستك تلك اللجنة؟

كونا عادلين خصوصاً في توزيع المهمات المنزلية اليومية. ضعا لائحة بكل ما يجب انجازه، ثم تفاوضا على إمكان اقتسام الأعباء بانصاف.

وينصح فريدمان: "ان الاوقات التي يمضيها الازواج العاملون ثمينة جداً. حاولا الا تغرقا في الاعمال التافهة. واذا كانت موازنتكما تجيز لكما استخدام بعض الأشخاص، فلِمَ لا تكلفان أحد أولاد الجوار تنظيف الفناء أو تأتيان بمدبرة لتنظيف المنزل؟"

٥. اقتطعا أوقاتاً كافية للحظات الحميمة. يقول الكين: "درج الازواج على منح شركائهم البقية الباقية من اليوم، لذا اجتمعا متى كنتما تتمتعان بنشاط." وإن تملككما التعب في المساء فتواعدا على تناول الغداء معاً في اليوم التالي. تابعا اعلانات الحفلات الموسيقية والمسارح، واشتريا بطاقات قبل الاوان. خططا لقضاء أيام العطل معاً.

تعمل ماري سويفت (٣٥ عاماً) مساعدة قانونية، وزوجها توماس اختصاصي بالبصريّات. وقد اتفقا مع عائلتين أخريين على الاستعانة بحاضنة أطفال لعشيات أيام السبوت، على أن يدفعوا لها أجرة أربع ساعات أسبوعياً، ولو لم يحتاجوا اليها. وهذا الاتفاق مربح للعائلات الثلاث، حتى إن قررت عدم الخروج في أسبوع معين، وهو مربح كذلك للحاضنة التي أمنت لنفسها دخلا ثابتاً.

اجعلا التمارين جزءاً منتظماً من حياتكما اليومية. تنزها معاً والعبا كرة المضرب وتعلما أنواع الرقص. فالتمارين تحدث تغييراً في الجسم يحسِّن المزاج ويخفف الضغط.

وأهم من ذلك التخطيط للعلاقة الجنسية. والاعتقاد بأن العلاقة العفوية هي فضلى العلاقات الجنسية على الاطلاق مجرد خرافة، فضلا عن أن انهماك كثيرين من الأزواج العاملين في أعمالهم ومشاكلهم يجعلهم عاجزين عن التصرف عفوياً. فاذا لم يحددوا مواعيد للعملية الجنسية عجزوا عن ممارسة الجنس. وتقول لوان كول وهي اختصاصية بالمعالجة في سان فرنسيسكو: "ان التخطيط يحسِّن الاداء عادة، اذ يوفر الوقت لامور تعزز المزاج الجيد."

٦. استعينا بعنصر المفاجأة. غالباً ما يقع الأزواج في الرتابة ولا يبادرون الى تحسين الأمور. ويشرح الكين: "اني أطرح هذا السؤال باستمرار: ما الذي تستطيع فعله الآن

ويحظى باستحسان زوجتك؟ وعندما يخبرني الزوج بما في امكانه أحضّه على تنفيذه. فالمفاجآت السارة هي دائماً خطوة في الاتجاه الصحيح." و"المفاجأة" تعني كسر "الرتابة." فإن اعتمدتما الاحتفال بالمناسبات الخاصة بتناول العشاء في مطعم، غادري عملك باكراً واعدّي وليمة فاخرة في المنزل. أو فاجىء زوجتك بأمر ما تشتكي هي أنك لا تفعله أبداً.

من يدري؟ فبعد تعزيز علاقتكما بحيث تصمد وسط البرامج اليومية، قد تتمكنان من التلاعب بأزمات العمل ومواجهة ازدحام حركة السير والوصول الى المنزل لتفاجأا بحوالة مرفوضة وتتحملا أولاداً مشاغبين وتحتفظا، على رغم ذلك، بنشاط كاف للمزاح واقتراح قضاء "فاصل" حميم مع ذلك الشخص المميز الذي أمضى، هو أيضاً، يوماً مضنياً.

مايكل كاسلمان ■

شارع الانس

غداة ولادة طفلتي انطلقت الى عملي في توزيع البريد. وعندما اقتربت من أول منزل في شارعي المفضل، حيتني ربة البيت بابتسامة وناولتني كيساً كبيراً قائلة: "سوف تحتاج اليه."

كانت على حق. فاذ سرت من أول الشارع الى آخره كانت هدية تنتظرني على كل صندوق بريد، من ثياب أطفال الى حرامات محوكة باليد الى أحذية لطفلتي الجديدة.

ج.ن.

توأمان!

يعمل زوجي مندوباً لشركة تبيع أدوات منزلية. كان في أحد مخازن الشركة ذات يوم، فرأى زوجين مهتمين بثلاجة. اقتربا منه مستوضحين، فأخذ يعدّد لهما مزايا الثلاجة ومواصفاتها.

وبعد قليل توجه زوجي الى مخزن آخر للشركة يقع في شارع مجاور. ولم ينقضِ نصف ساعة حتى دخل الزوجان اياهما لمقارنة الاسعار. وكان موظفو المبيعات مشغولين، فاهتم زوجي بالاجابة عن أسئلتهما. وحين أنهى حديثه سألته المرأة: "أتدري أن ثمة بائعاً آخر يشبهك تماماً يعمل في مخزن قريب؟"

فرد زوجي مازحاً: "انه شقيقي التوأم."

قالت المرأة: "في هذه الحال، سوف نأتي اليك أنت عندما نقرر الشراء، فأنت أفضل كثيراً من شقيقك."

ب.هـ

كتاب الشهر

مغامر في حياة ملكة

بقلم تشارلز و. سميث

مُغامِرٌ في حَياةِ مَلِكةٍ

جنى جوزف وايتسايد بويل ثروة لا يستهان بها ابان "حمّى الذهب" في منطقة كلوندايك بكندا. أما ما استهواه فعلا فكان حب المغامرة التي عاشها "مرتزقاً" يحلّ حيثما يلوح بارق ربح أو متعة أو إثارة. وهذا ما حمله عام ١٩١٧ الى روسيا التي عمّتها اضطرابات الثورة، ومن ثم الى رومانيا الغارقة في الحرب حيث وقع في غرام ملكة جميلة رومانسية اسمها ماري، كرس خدماته لها ولقضيتها باعثاً في الأذهان صورة الفرسان النبلاء في بلاطات ملوك بريطانيا. وهذه قصتهما وقصة الظروف العاصفة التي جمعتهما، وهي تستند الى سِيَر منشورة وتلقي بعض الضوء على حياة هذا الكندي الفاتن.

ILLUSTRATIONS: GREG RUHL

٧ مارس (آذار) ١٩١٨

عزيزي جورج،

قُطعت عنا الامدادات وتعرضنا للخيانة وأحاط بنا الاعداء من كل جانب، فاضطررنا الى الاستسلام على رغم الروح المعنوية العالية التي تحلى بها جنودنا. أما أنت فلسوف تحارب وتنتصر، ويوم تنتصر لا تنسَنا. وحتى حلول تلك الساعة المباركة، استودعك الله يا جورج. فأنا على وشك مواجهة مصير اكثر سوادا مما يسعني تصوره. وكم كنت أفضل الموت مع جيشنا حتى الرجل الأخير على الاعتراف بهزيمتي. كيف لا وفي عروقي دم انكليزي.

ابنة عمك المحبة،

ميسي.

- رسالة الى جورج الخامس ملك بريطانيا من ماري ملكة رومانيا.

ليس عجباً أن تستسلم ماري، ملكة رومانيا الانكليزية المولد، لليأس والقنوط. فجيوش القوى المركزية - ألمانيا والنمسا وهنغاريا وتركيا وبلغاريا - زحفت الى عمق البلاد. وسقطت العاصمة بوخارست وأُخلي البلاط الملكي ومقر القيادة العسكرية ونقلا إلى بلدة ياشي المتاخمة لحدود مقاطعة بيسارابيا الروسية. وفي ٧ مارس (آذار) ١٩١٨، يوم كتبت ماري رسالتها، أُجبر زوجها الملك فرديناند على توقيع معاهدة سلام أولية جائرة.

ولم يكن ممكناً تلقي أي مساعدة من روسيا، حليفة رومانيا الأقرب في تلك الآونة، إذ تنازل القيصر نقولا الثاني - نسيب ماري - عن عرشه قبل سنة وسجنه البولشفيون هو وعائلته، وأجرت الحكومة الثورية مفاوضات في شأن معاهدة سلام مع ألمانيا وأعلنت الحرب على جيش رومانيا المنهك.

وسط هذه الأجواء الكئيبة، وصل ضابط كنديّ قوي البنية أزرق العينين الى بلاط رومانيا مساء ٩ مارس (آذار) ١٩١٨. خلع معطفه المبلل ومشى عبر قاعة الاستقبال وجزمته الموحلة تلطخ السجاد الفاخر.

تقدمت ماري (٤٣ عاماً) والعيون تتابعها، لتحية المقدَّم جوزف وايتسايد بويل، وسألته بوجه جميل متعب: "هل جئت لمقابلتي؟"

أجاب بويل: "لا يا سيدتي. جئت لمساعدتك. لكم أنت في حاجة الى مساعدة!" ثم تناول يدها الممدودة بقبضة محكمة.

وقد صرَّحت ماري لاحقاً: "تفاهمنا لحظة تصافحنا، وكأننا لم نكن يوماً غريبين."

في تلك الأمسية جلستْ ماري مع جو بويل لساعات. وقد جاء في مذكراتها: "فتحت

له قلبي. وعندها همَّ بالذهاب قلتُ إن الجميع تخلوا عني، فرد بهدوء: أنا لن أفعل. وكانت قبضته حين صافحني قوية كالحديد."

لم يكن جو بويل فارساً شاباً يخطر بدرع برّاقة. فهو بلغ الحادية والخمسين من عمره وجنى ملايين الدولارات من ذهب كلونددايك. لكنه أقسم أن ليس من قوة سترغمه على التخلي عن ماري ما دامت هي وبلادها في حاجة إليه، وأحسَّ عندئذ بالحب الحقيقي يتسرب الى قلبه للمرة الأولى في حياته.

العروس الطفلة

وُلدت ماري ألكسندرا فكتوريا، الملقبة ميسي تحبباً، يوم ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٧٥ في إيستويل هاوس، وهو قصر ريفي في مقاطعة كنت البريطانية من الضخامة بحيث لم يتسنَّ لها ولشقيقاتها الثلاث استكشاف جميع غرفه. وكان والدها ألفرد، دوق أدنبره وثاني أبناء الملكة فكتوريا، قائداً بحرياً وأرستقراطياً وسيماً نموذجياً ورياضياً صموتاً.

وكانت والدة ميسي، الروسية المولد وابنة القيصر ألكسندر الثاني، زوجة غير سعيدة كرَّست نفسها لأولادها. ذكرت ماري: "أحبَّتنا ماما بعاطفة قوية. كانت ماما هي التي نلوذ إليها، ماما هي التي تقبِّلنا قبل أن ننام، ماما هي التي توبخنا أو تثني علينا."

وفي العام ١٨٨٦، عندما بلغت ماري الحادية عشرة من عمرها، أُولي والدها قيادة الأسطول الملكي في البحر الابيض المتوسط. فانتقلت العائلة الى جزيرة مالطة حيث استقرت في قصر تحوطه حدائق عابقة برائحة الياسمين وزهر الليمون. وكان بين رواد القصر الدائمين ابن عمها جورج الذي عمل ضابطاً بحرياً بامرة الدوق. وقد دعت ميسي الأمير، الذي صار لاحقاً الملك جورج الخامس، صديقها المحبوب. وكانت هي بلا ريب ابنة عمه المفضلة.

تبادل الاثنان رسائل كثيرة أثناء غياب جورج في البحر. وهو كتب الى ماري من بريطانيا عام ١٨٨٨: "إني مشتاق إليك كثيراً يا حبيبتي ميسي." وكان واضحاً للعائلة البريطانية المالكة أنّ جورج ينتظر ميسي الصغيرة الحلوة لكي تكبر وتصبح زوجته. وباركت الملكة فكتوريا هذا "التدبير" وزكَّته.

بيد أن خططاً أخرى كانت تراود والدة ميسي، فالدوقة الكبيرة كانت تزدري المجتمع البريطاني وتكره عائلة زوجها، وقد صممت ألا تترك مستقبل ماري بين يدي حماتها.

وراحت تبحث سراً عن زوج مناسب لابنتها. فوقع اختيارها على ولي عهد رومانيا الأمير فرديناند ابن عم القيصر فلهلم الثاني ملك بروسيا وامبراطور ألمانيا، مما أفرح

ملك رومانيا كارول الذي فقد ابنه الوحيد وهو في السن الرابعة واختار ابن اخيه فرديناند وارثاً له. فماري أميرة من نسل ملكي وتتمتع بجمال فتي وشعر ذهبي وعينين بلون الياقوت الأزرق. انها مثالية لانجاب أطفال ملكيين.

وكان فرديناند يكبر ماري بعشر سنين، شاباً انطوائياً خجولا متردداً تركَّز اهتمامه على دراسة علم النبات.

وفي صيف ١٨٩٢ اصطحبت الدوقة الكبيرة ابنتها الى ميونخ لاتاحة فرصة لفرديناند كي يتودد اليها. تقول ماري: "جُمِعنا معاً في كل سانحة. كنا يافعين في جو من الحب، وكان الفصل ربيعاً ووجه أمي بادي السعادة والترقب."

وفي مايو (أيار) عرض عليها فرديناند الزواج، فقالت نعم.

كتبتْ ماري لاحقاً: "بتلك النَعم وقَّعتُ قدري." وسرعان ما أدركتْ أن أهواءهما غير متوافقة. فهي أحبت ركوب الخيل والخروج الى الطبيعة، فيما نزع فرديناند الى الاهتمامات الفكرية.

وتزوجا في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٨٩٣، وكانت العروس في السابعة عشرة من عمرها.

كان شهر العسل كابوساً. وبكلمات مرهفة شرحتْ ماري في مذكراتها أن فرديناند "كان مغرماً على نحو رهيب يقارب القساوة. حاولتُ بأسلوبي غير الناضج التجاوب وعاطفته المشبوبة، لكني كنت جائعة وعطشى الى ما هو أعمق."

وبعد سنوات أخبرتْ جو بويل: "تزوجت صغيرة جداً، ولمَّا يستيقظ بي شيء."

أنجبتْ ماري في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) وارثاً لفرديناند سمي كارول. واذ تمددت في سريرها الكبير سمعت دوي مدافع الابتهاج خارج القصر.

"ذهبتُ الى البحر"

وُلد جو بويل في تورونتو بكندا عام ١٨٦٧، وكان والده مربِّي خيول مرموقاً من أصل إيرلندي. أحب الصبي صيد الأسماك والسباحة والملاكمة وركوب خيول والده في أرياف وودستوك في اقليم أونتاريو حيث ترعرع.

وفي العام ١٨٨٤ سافر وشقيقيه الى مدينة نيويورك للعمل في اسطبلات الوالد، ففتنته السفن السامقة الأشرعة في ميناء المدينة، وصادق قبطان سفينة كندية وافق على استخدامه نوتياً عادياً. وهو أمره: "اذهب أولا وأخبر عائلتك بما تنويه، ثم عد من فورك." وكانت السفينة تستعد للابحار بعد ساعتين.

ركض الفتى الى منزله فلم يجد أحداً هناك، فكتب رسالة موجزة الى أهله: "ذهبتُ إلى البحر. لا تقلقوا. جو." وكان ذلك آخر ما عرفته عنه العائلة لثلاث سنوات تالية.

وعلى متن السفينة، اكتشف بويل في نفسه قدرة على قيادة الرجال في الازمات. وحدث أن فقدت السفينة صاريها وسط عاصفة هوجاء ضربتها في المحيط الهندي، وبدأ الماء يتدفق اليها. وبعد أيام من النزح المضني بدأ البحارة المرهقون يتركون المضخات استسلاماً، فلمَّ جو شعثهم ونصَّب نفسه آمراً على عمليات الضخ. وأخيراً وصلت السفينة الى أحد الموانىء مترنحة وبحارتها ما زالوا يضخون الماء وقد رفعوا فيها شراعاً مرتجلاً.

اكتشف بويل في نفسه أيضاً مقدرة على كسب المال. وكان، إلى صوته الجهوري الجميل وذخيرته الواسعة من الأغاني الإيرلندية، يتقن العزف على آلة البانجو. فشرع يقيم حفلات موسيقية يؤمها البحارة أثناء فترات الانتظار الطويلة في الموانىء. كما كان ملاكماً جيداً من الوزن الثقيل، فنظَّم حفلات ملاكمة استأجر لها قاعات محلية. وغالباً ما كان يراهن بكامل مردوده على الورقة الاقوى: هو.

وفي خريف ١٨٨٧ قام بويل، وقد بلغ العشرين من عمره وامتلأت جيوبه مالاً، بزيارة غير متوقعة لاخيه ديفيد في نيويورك. وخلال حفلة استقبال أعدها أخوه لتكريمه التقى مطلقة شابة فاتنة اسمها ملدريد راينور كانت أماً لطفل وذواقة للفرو الباهظ الثمن، حتى انها عُرفت بلقب "مِنْك".[1] وسرعان ما طلب بويل المتهوِّر يدها. ولم تمضِ ثلاثة أيام حتى تزوجا.

هجر بويل البحر. وفي السنوات اللاحقة أنشأ تجارة مزدهرة في قطاع عَلَف الحيوانات في نيويورك وتولى ادارة أحد نوادي الملاكمة. وهناك التقى فرانك سلافن "جلاد سيدني"، وكان بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل ومنقباً سابقاً عن الذهب في أوستراليا.

وفي العام ١٨٩٧ شاعت أخبار عن اكتشاف عظيم للذهب على امتداد نهر كلونDايك في اقليم يوكون بكندا. في ذلك الوقت كان بويل انفصل عن زوجته، فصفّى موجوداته مانحاً ملدريد معظم ما يملك، على أن يتولّى هو رعاية ولديه الأكبرين، جو الابن وفلورا، اللذين اصطحبهما الى دار والديه في وودستوك. ثم رحل مع "الجلاد" سلافن بهدف تنظيم سلسلة حفلات ملاكمة لتمويل انطلاقهما الى كلونDايك. بيد ان هذه الجولة أخفقت تماماً. ولكن في فكتوريا، ميناء الانطلاق الى حقول الذهب، وافق ممولان على رعايتهما ضمن بعثة تستهدف وضع معالم لدرب سالكة الى يوكون عبر ممر "وايت باس" غير المستكشف.

كانت سكاغواي الواقعة في لسان الاسكا جنوباً مستوطنة هزيلة من الخيم والاكواخ عندما خوَّض بويل وشريكه في مياه شاطئها منتصف يوليو (تموز) ١٨٩٧. لكنها كانت

(١) المنك حيوان فرائي ثديي لاحم.

حية بأقاصيص عن ثروات تنبش من قيعان الجداول حول داوسون. وفي ٢٠ يوليو (تموز) قاد بويل ١٦ رجلا من سعاة التنقيب و ٢٥ جواداً محملة بالمؤن نحو ممر وايت باس المفترض ان يكون عُوينَ ومُسِح على الاقل. لكن الدرب لم تكن مرئية الا في ما ندر، مما اضطر الرتل الى شق طريقه صعوداً طوال ثلاثة أيام منهكة عبر منزلقات تكسوها الجلاميد الصخرية، فيما راحت الجياد تخبّ متعثرة في الوحول النازّة.

وفي أغسطس (آب) وصل بويل وسلافن الى داوسون وهما لا يحملان سوى ٢٢ دولاراً. وكانت عروق الذهب في جدولي بونانزا والدورادو في داوسون استنزفت كلها تقريبا، لكن اعمالا كثيرة كانت متوافرة لرجال المعاول والرفوش الاقوياء. وسرعان ما وجد الشريكان عملا في حقل "الدورادو ١٣" الذي يملكه بيل غايتس المتأنق صاحب "صالون مونتي كارلو."وهناك عثر بويل على أول كتلة ذهبية ملكها، وتعلم فنون الاستتبار، وهو استخلاص دقائق الذهب بغسل الرواسب الغرينية.

بيد ان البحث عن حثالة الذهب لم يكن غاية طموحات بويل. فالثروة الحقيقية، في نظره، كانت في التنقيب الهيدروليكي، وهذا يعني تشغيل آلات جرف كبيرة لرفع الرواسب من القاع، وتوظيف مال كثير، والحصول على امتيازات تنقيب واسعة النطاق. فكيف يتسنى له كل ذلك؟

جاب الشريكان تلال كلوندايك. ولم يمض الخريف حتى استطلعا ما يزيد على عشرة آلاف هكتار على امتداد ١٣ كيلومتراً من النهر. ومع اقتراب صقيع الشتاء أخذ بويل قراراً خطيراً: أن يبقى سلافن في المنطقة لتسجيل حقوقهما التنقيبية، فيما ينطلق هو الى الساحل ومنه الى أوتاوا للحصول على عقد إيجار آلات هيدروليكية.

انطلق بويل في صحبة بيل غايتس "صعوداً" عبر نهر يوكون على متن قارب مطاطي سرعان ما حاق به الجليد الطافي وأعاق مساره. فشق الرجلان طريقهما بجهد والحرارة دون الصفر، حتى وصلا الى كارمكس بوست حيث التقيا جمعاً صغيراً من الرحالة التائهين. وهناك قرر الجميع تقاسم مؤنهم والانطلاق سيراً بقيادة بويل. فمضوا طوال ٢٥ يوماً يشقون طريقهم بصعوبة بأحذية الثلج وسط الثلج العميق ولا من خيمة او موقد يقيانهم برد الليالي. قادهم بويل كأنهم مساجين موثوقون بسلسلة. وفي مرحلة من الرحلة خاض بويل نهراً بعمق الخصر، ثم عاد وحمل رفاقه ورُزَمهم، كلا بدوره، عبر النهر. وبعد شهر من الترحال المضني وصل الجمع الى الساحل وركبوا باخرة متجهة الى سياتل في ولاية واشنطن الامريكية.

ومن هناك اتجه بويل الى اوتاوا حيث عرض مشروعه على وزير الداخلية الديناميكي كليفورد سيفتون الذي وعده بالدعم لاعتقاده الراسخ بوجوب انماء منطقة كلونديك بجهود كندية.

ولدى عودة بويل الى داوسون في السنة اللاحقة وجد تشتتاً في الهجمة على الذهب. واذ ادرك ان الذهب ليس الطريق الوحيد الى الثروة، تحول الى استثمار الغابات الواقعة في نطاق حقوقه التنقيبية. وانشأ منشرة وراح يبيع الاخشاب للمنقبين لبناء الاكواخ والقنوات الاصطناعية. وازدهرت تجارته وجنى مالا وفيرا. ثم أقام مستودعاً ورصيفاً لتحميل السفن وتفريغها، واستحصل على ١٧ حق استتبار وعلى نصف منحة هيدروليكية، كما اشاد مبنى كبيراً عند مصبّ جدول بير كريك اعتمده مقراً عاماً لعمليات تنقيب مستقبلية.

لكن عقد ايجار التجهيزات الهيدروليكية لم يُبتّ الا في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٠، في وقت غادر المنطقة معظم المنقبين العاملين هناك منذ العام ١٨٩٨، اذ ولّى زمان المنقب اليدوي.

وشهدت داوسون تحولا الى مجتمع عائلي مستقر له مستشفاه ومدارسه وطرقه المعبدة ومدرَّجه الرياضي وحفلاته الانيقة. وفي العام ١٩٠٣ أكثرت صحيفة البلدة من تغطية أخبار بويل: عن ركوبه جياداً في حلبات السباق، وعن حفلة ملاكمة بين بويل وسلافن اللذين حافظا على صداقتهما على رغم انحلال شراكتهما. في هذا الوقت كان بويل في الخامسة والثلاثين من عمره، رجلا طويلا أسمر وسيم القسمات. وجاء في الصحيفة أنه "سيظهر في الحلبة للمرة الاخيرة، وعلى الجنس اللطيف، إن شاء رؤيته، حضور المهرجان."

وفي العام ١٩٠٥ قبل بويل عرضاً من شركة تعدين في ديترويت لتمويل مشروعه التنقيبي، على رغم ان ذلك عنى تجريده من السيطرة على شركة التعدين الخاصة به. ولمّا لم يكن من الصنف الذي يقبل دور "الرجل الثاني" فقد عاد الى وودستوك والى عائلته.

لكن تلك لم تكن نهاية العلاقة بين جو بويل وكلوندايك.

اختبار قوة

كانت وليَّة العهد ماري في التاسعة عشرة من عمرها عندما انجبت طفلتها اليزابيثا. وبدأت تثور على الحكم الجديد للملك كارول وعلى القيود التي فرضها على تنقلاتها. وامتلأت نفسها مقتاً للقصر الكئيب "حيث لا زهور ولا مكان مريحاً ولا كرسي صالحاً للاسترخاء."

ولم يكن يُسمح لها بتربية ابنها وابنتها، ذلك لان كارول وزوجته اليزابيث – الشاعرة الغريبة الاطوار الملقبة "كارمن سيلفا" – اعتبرا ورثة العرش ذخائر وطنية تنبغي تنشئتها وفق مفاهيمهما الخاصة وعلى ايدي أناس يختارانهم. وعندما انتقلت ماري

وفرديناند الى قصر كوتروسني عام ١٨٩٦، تولى الملك والملكة اختيار خدمهما وافراد حاشيتهما.

في ذلك العام دُعيت ماري وزوجها فرديناند الى بطرسبرج لحضور حفلة تتويج نسيبيها القيصر نقولا الثاني والكسندرا. وكانت زيارة البلاط الروسي، بالنسبة الى ماري، "كالانتقال من الظلام الى نور الشمس الباهر." كما كانت حفلة التتويج "حلماً اكثر منها حقيقة."

لم تعرف ماري قبل زواجها سوى نزر يسير عن حياة المجتمع الراقي. وها هي مدعوة الى جولة من الحفلات المترفة والرحلات ومآدب العشاء في ضوء القمر. كانت عيون المعجبين تلاحقها وهي ترقص الفالس فوق الرخام الابيض في "قاعة الفرسان" وأضواء ثريا الكريستال الضخمة تتلألأ منعكسة على جدائل شعرها الذهبي. وكان معظم هؤلاء المعجبين من الضباط "اللامعين، الحيويين، العاطفيين، الشجعان، المتّقدين حرارة روسية." وكان اكثرهم اتّقاداً نسيبها الضاحك ذو الصوت الأجش الدوق الكبير بوريس. تقول ماري: "الروس سريعو الالتهاب. وللمرة الأولى تكشّفت لي تلك القوة التي هي قوة المرأة. وقد سرني ذلك الاكتشاف."

وسرعان ما عادت ماري الى بوخارست حيث "لم أجد فرحاً حقيقياً الا في رؤية ولدي." بيد ان الملك كارول لم يلبث ان بدل موقفه وأرخى عطفه على تلك الفتاة الانكلو - ساكسونية التي يستطع تحطيم ارادتها، فعينها في خريف ١٨٩٧ رئيسة فخرية لفوج خيالة.

فرحت ماري كثيراً بهذا المنصب، وراحت تركب فرسها كل يوم في حقل التمرين خلف القصر، مرتدية بزة الفوج الزاهية الحمراء الذهبية الازرار، فيستقبلها الفرسان

بالهتافات. واذ غدت فارسة جسورة متمرسة، راحت تتدرب مع الفرسان على لحن فالس خاص بالفوج وتتقدمهم فخورة في العروض.

كان ركوب الخيل بالنسبة الى ماري ضرورياً "كالطعام والنوم." وهذا، في الواقع، هو ما علّمها حب وطنها الثاني. كتبتْ: "استيقظ حب رومانيا في نفسي وانا على متون الخيل."

وكانت الاميرة الفتيَّة كلما انتقل البلاط الى منتجع سينايا في اعالي جبال الكاربات، تركب فرسها في رحلات طويلة وسط المروج وغابات الصنوبر الكثيفة. واحتكّت خلال رحلاتها هذه بقرويين رومانيين وجماعات من الغجر الرُحَّل الذين غدوا مواضيع أساطير كثيرة كتبتها ونشرتها لاحقاً.

في غضون ذلك، راح أعضاء البلاط يغمزون من قناة ماري ويتساءلون عما اذا كان ركوبها الخيل يتهدد واجباتها كمنجبة أطفال ملكيين. وهي نادراً ما كانت تركب الخيل جانبياً كما يليق بالسيدات. بيد ان ماري انجبت في مطلع القرن العشرين اربعة اطفال آخرين: بنتين هما مينيون واليانا وصبيين هما نقولا وميرسيا، وقد قضى هذا بداء التيفوئيد وهو في الثالثة من عمره.

وفي مارس (آذار) ١٩٠٧، وكانت ماري في الثلاثين من عمرها، ثار فلاحو رومانيا على الاقطاعيين مطالبين بقسمة اكثر عدلا للارض. وأدت هذه الثورة، التي مُحقت بقسوة، الى يقظة ماري سياسياً، فراحت تستطلع شؤون بلدها. وكان لها في ذلك حليف غير متوقع هو الملك كارول. فلقد أدرك الملك العجوز أن ماري امرأة ذكية وصاحبة شخصية قوية، فأولاها ثقته. وهكذا غدت ماري قوة وراء العرش يُحسب لها حساب.

ولم تمضِ سنوات حتى اغتيل الارشيدوق فرانز فرديناند ولي عهد النمسا في سارايفو في صَربيا يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٤. وكانت هذه الجريمة هي الشرارة التي أغرقت العالم في حرب ضروس وغيرت حياة ملايين البشر، بمن فيهم ماري وليَّة عهد رومانيا ومنقب ذهب مغامر في يوكون البعيدة عُرف آنذاك بلقب "ملك كلونדايك."

ذهب كلونديك

اكتشف جو بويل خلال فترة ابتعاده الطوعي عن يوكون أن جزءاً من الصفقة التي عقدها مع شركة التعدين في ديترويت لا يخلو من الاحتيال. فثار سخطاً ورفع أمره الى القضاء. وبعد معركة قانونية دامت سنتين ربح القضية. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٠٩ عاد الى كلونديك مالكاً غالبية الأسهم ومديراً لشركة كلونديك الكندية للتعدين.

وكان بويل خلال فترة ابتعاده عن يوكون يخطط لبناء "جرافة بارجة" هي الكبرى

في العالم من حيث احتواؤها على ٧١ مجرفة عملاقة قادرة على رفع ما يزيد على ١١ ألف متر مكعب من الرواسب يومياً. ومتى جُمعت هذه المجرفة وجب تثبيتها في موضعها بعمود فولاذي هو من الطول والثقل بحيث ان المشككين عقدوا رهانات على انه لن يُرفع أبداً. وقد كتبت فلورا، ابنة بويل، بعد سنوات: "بلغت نسبة الرهان ثمانية الى واحد على أن جو بويل لن يتمكن من ارساء هذا العمود الضخم في موضعه من دون رافعة. لكنه فعل. واستطاع، بواسطة أسلاك معدنية وبضعة جياد وفريق من الرجال، إرساء العمود البالغ وزنه ٣٠ طناً في موقعه بيسر ورشاقة كما لو كان عموداً أوسط يرفع في خيمة سيرك."

دارت الجرافة العملاقة مزبدة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٠ معيدة بويل الى مهنة التنقيب عن الذهب. ثم اضيفت اليها جرافتان هائلتان، فازدهرت الاعمال وغدا بويل ثرياً.

ولكن بحلول العام ١٩١٣ ضرب النكد العائلة. ذلك لأنَّ بويل، بعد طلاقه من ملدريد عام ١٩٠٧، تزوج إلما لويز همفريز وهي مقلِّمة أظفار التقاها في أحد فنادق ديترويت. وكان ظهور زوجة الأب في حياة فلورا صدمة لها، زادها ما أعلنه بويل من وجوب تركها المدرسة في تورونتو والعودة الى يوكون والى منزل العائلة في بير كريك. إذذاك لم يكن بد من حلول الكراهية في نفس فلورا إزاء إلما.

ولما كان جو رجلا ودوداً كريم النفس، فقد حاول جهده أن يجعل الحياة سعيدة في بير كريك. فأقام حفلات ومآدب وغير ذلك من ضروب اللهو والتسلية. لكنه، مع تفاقم الشجار بين فلورا وإلما، راح ينشد الهدوء في السير وحيداً مسافات طويلة.

كتبت فلورا لاحقاً: "لربما كان أفضل لوالدي ألا يتزوج أبداً، هو المقاتل بالفطرة والسعيد أبداً في خضم الأحداث الخطيرة. لم يكن في هذا الرجل الضخم، الفائر الدم، المغامر، ما يحدوه على الاستقرار مع زوجة وعائلة."

كان بويل في السابعة والاربعين من عمره لدى اندلاع الحرب العالمية الاولى، فلم يلتحق بالخدمة الفعلية لتقدمه في السن. إلا أنه جمع نخبة من متطوعي يوكون ودربهم وجهزهم على حسابه، فألَّفوا وحدة من الجيش الكندي خدمت في فرنسا وحازت أوسمة كثيرة.

وبحلول العام ١٩١٦ عاد بويل يتلهف لخوض المعارك. فترك أعماله في عهدة ابنه وأخيه ديفيد ويمم شطر لندن حيث نال، بالحيلة، رتبة مقدَّم فخريّ في الميليشيا، وحاول اقناع كبار ضباط الجيش بارساله الى فرنسا. ولما يئس من المحاولة تناهى اليه من مهندس صديق اسمه هربرت هوفر (أصبح لاحقاً رئيساً للولايات المتحدة) أن "لجنة المهندسين الأمريكية" تبحث عن رجل يساعد الجيش الروسي في تشغيل

شبكة سكك حديد خفيفة خلف خطوط الجبهة الشرقية. فاستغلّ بويل الخبرة التي اكتسبها في مجال السكك الحديد الخفيفة في كلونديك، وتطوّع فرحاً بالسانحة.

وذات صباح مشرق من يونيو (حزيران) ١٩١٧، خطا صياد الثروة جسوراً في شوارع بطرسبرج ولمّا تمضِ ثلاثة أشهر على سقوط القيصر نقولا الثاني. كان لافتاً للنظر ببزّة الضابط الجديدة وسيفه التقليدي وشاراته المقتطعة من ذهب كلونديك الخالص وبقامته المديدة ووجهه الصارم. كان المقدَّم جوزف بويل وايتسايد على وشك خوض مغامرته الكبرى التي ستنيله وسام الخدمة المميزة ووسام الحرب وستة أوسمة أخرى ولقب دوقية وحب ملكة لا يموت.

تاج من خيوط

أحدثت الحرب انقساماً مؤلماً في العائلة الرومانية المالكة. فلقد مالت ماري ومعظم أتباعها الى بريطانيا وروسيا بفعل قرابة الدم التي تربطها بهذين البلدين. الا أن زوجها فرديناند وحماها الملك كارول، وهما من الأمراء الهوينزولرنيين،[٢] دانا بالولاء الى المانيا، وكذلك فعلت زوجة كارول الالمانية الاصل. وقد حضّت المانيا والنمسا الملك كارول على التعبئة العسكرية ضد روسيا، فلبى الملك الروماني النداء، وكان سبق أن تدرب في الجيش البروسي وآمن أن المانيا لا تُقهر.

ولكن في اجتماع عقده المجلس الملكي في ٣ أغسطس (آب) ١٩١٤، عارض الوزراء رأي الملك، فيما بقي فرديناند صامتاً خشية معاداة عمه أو زوجته. وأخيراً أعلن رئيس الوزراء يون براتيانو أنَّ رومانيا ستقف على حياد، على أن تستعد للحرب، وربما لخوض الحرب الى جانب الحلفاء.

خرج كارول من الاجتماع مهيض الجناح. وبعد أسابيع قليلة، في ٥ أكتوبر (تشرين الاول)، مات أثناء نومه. وعندما أقسم فرديناند يمين الولاء للدولة أمام البرلمان في اليوم التالي، قوبل بعاصفة من التصفيق. وتتذكر ماري: "فجأة دوى اسمي في الملأ: ريجينا ماريا! ريجينا ماريا!" فأزاحت الملكة الجديدة حجاب الحداد عن وجهها، "وتواجهنا حينئذ، أنا وشعبي. وفي تلك الساعة علمت أن الفتاة التي جاءت من وراء البحار لم تعد غريبة. كنتُ لهم بكل قطرة من دمي!"

بقيت رومانيا على الحياد سنتين. وفي ١٧ أغسطس (آب) ١٩١٦ وقّعت معاهدة مع الحلفاء تعهدت بموجبها إعلان الحرب على المانيا والامبراطورية النمسوية – الهنغارية. ولم تمضِ عشرة أيام حتى زحفت الجيوش الرومانية على ترانسلفانيا. غير أن الحملة كانت قصيرة الامد إذ سقطت مدينة براسوف في أيدي الالمان في

(٢) هوينزولرن اسرة المانية حاكمة انتسب اليها ملوك بروسيا من ١٧٠١ الى ١٩١٨ واباطرة المانيا من ١٨٧١ الى ١٩١٨.

٩ أكتوبر (تشرين الاول) مما اضطر الجنود الرومانيين الى التراجع عبر ممرات جبلية وعرة ومعهم ألوف اللاجئين. وفي ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) استولى الالمان على كونستانتا، الميناء الرومانية الوحيدة الصالحة للامدادات. وكتب مراسل صحيفة "لندن تايمز": "لقد ضاعت رومانيا المسكينة."

في غضون ذلك جالت ماري على المستشفيات حاملة معونات للجرحى. وكانت تعاتب فرديناند بقسوة لملازمته مقر قيادة الجيش وعدم زيارته الجنود في الخطوط الامامية. كتبت: "أواه، ليتني أنا الملك! لكنتُ الآن بينهم حقيقة لا مجرد اسم!"

سقطت بوخارست في ٦ ديسمبر (كانون الاول)، وهربت الاسرة المالكة والحاشية والحكومة والقيادة العسكرية الى ياشي على حدود روسيا، ونقل الاحتياط الذهب ومجوهرات التاج ومحفوظات وزارة الخارجية الى روسيا لحفظها. ومع حلول رأس السنة ١٩١٧ كانت بقايا الجيش الروماني لا تزال صامدة بعناد في جبهة طولها ٥٠٠ كيلومتر جنوب شرق مولدافيا، محاصرة بين الجبال ونهر الدانوب "كجوزة بين فكي كماشة" بحسب تعبير رئيس الوزراء البريطاني الراحل ونستون تشرشل.

عمَّت الفوضى ظروف الحياة في ياشي، وهي مدينة ريفية كان يقطنها ٧٠ ألف نسمة فاضطرت فجأة الى استيعاب نحو ٢٥٠ الف لاجىء، الى جميع أجهزة الدولة الحكومية والعسكرية.

وفي فبراير (شباط) استشرى وباءا الجدري والتيفوئيد، ولم يمضِ فصل الشتاء حتى قضى ٣٠٠ الف شخص. وخدمت الملكة وأولادها في المستشفيات حيث حُشر كل ثلاثة جنود في سرير وكانت جروحهم تُضمَّد بالنشارة لعدم توافر مياه ساخنة لغسل الملاءات والضمادات. وفي أجنحة التيفوئيد مدت الملكة يديها لمصابين على فراش الموت. ولمَّا نُصحت بوضع قفازات واقية قالت بازدراء: "لا يسعني تركهم يقبِّلون مطاطاً." وكانت متى حل الليل تقف في دلو ماء وتخلع ثيابها وتبدلها تخلصاً من القمل.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) زارت جنودها في الخنادق. وكتبت لاحقاً: "عندما جلست معهم في مخابئهم، أخبروني كم تمدهم رؤيتي بقوة وبرغبة في الصمود حتى الرجل الأخير. شعرت إذذاك بغصَّة تتنامى في حنجرتي."

كان واضحاً أن الجيش لن يصمد طويلا. وفي ٩ ديسمبر (كانون الاول) وقَّعت رومانيا هدنة مع "القوات المركزية" وبدأت المفاوضات على معاهدة سلام.

احتفل فرديناند وماري في يناير (كانون الثاني) ١٩١٨ بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لزواجهما. وللمناسبة، قدَّم وفد سيدات الى الملكة تاجا من خيط فضي جدلنه لتضعه على رأسها بدلا من مجوهرات التاج المحفوظة في موسكو (والتي صادرها البولشفيون ذلك الشهر مع احتياط رومانيا من الذهب).

وفي مارس (آذار) وقعت معاهدة سلام أولية أرغمت رومانيا بموجبها على التنازل عن مناطق واسعة من أرضها لهنغاريا (المجر) وبلغاريا، وتسليم نفطها الى شركات المانية لثمانين عاماً، وتسديد نفقات جيش الاحتلال فيها، وإجلاء جميع بعثات الحلفاء للحال. وقد نفذ كل ذلك، ولكن نُسي رجل اسمه جوزف بويل أقسم الاّ يهجر الملكة وعقد العزم على البقاء في خدمتها حتى النهاية.

عقدة موسكو

بعد أيام على وصول بويل الى بطرسبرج في يونيو (حزيران) ١٩١٧، حدد مبادىء عمل أساسية. وعندما طلب منه المسؤولون الروس إدارة شؤون سكة حديد مورمانسك وأرشنغل، كان جوابه فظاً اذ أعلن أنه لن يدير سكة حديد بُنيت على عظام رجال مسخَّرين، وقد حُددت مهمته بتنظيم السكك الحديد الخفيفة خلف الخطوط الأمامية، وهو لن يرضى مهمة سواها. وأصرّ على منحه صلاحية تامة.

كانت السكك الحديد وأنظمة النقل بواسطة الجياد في الخطوط الأمامية في حال مزرية. فأرسل بويل برقية الى لندن طالباً عُدد صيانة وقاطرات وحافلات ومنسقاً لحركة سير القطارات ووحدات من السكك الحديد التابعة للجيش الكندي وجرارات "كاتربيلر" تحل مكان جياد العربات التي كانت تنفق بمعدل ٧٠٠ في الشهر.

وفيما كان بويل ذات يوم يتفحص السكة الحديد في تارنوبول، اقتحمت قوات ألمانية مواقع الجيش الروسي وبددت الجنود ففروا في كل اتجاه. ولما اكتشف بويل فرار جميع العاملين في مقر القيادة الروسية، تولى هو القيادة. وأقام، بمساعدة ضابطين روسيين، نطاقاً من المراكز الدفاعية حول البلدة تجوبه دوريات بريطانية مؤلّلة وتدافع عنه كتيبة مؤلفة من نساء روسيات أقسمن على القتال حتى الموت. وصمدت البلدة مدة أربعة أيام.

ولدى وصول تعزيزات غادر بويل البلدة الى رومانيا حيث كان الجيش مضعضعاً والامدادات معدومة بسبب الحصار المضروب على السكك الحديد والفساد المستشري بين نُظّار المحطات. فلم يجد سبيلا الى فك الحصار سوى اعتماد النقل المائي، فحمّل أسطولا صغيراً من قوارب الجرّ الخفيفة بالمؤن، وأرسله عبر بحيرة يالبوخ المستطيلة الى أحد خطوط السكك الحديد العابرة بيسارابيا الى الحدود الرومانية. ونجحت هذه الوسيلة في نقل مئات الاطنان من الامدادات يومياً.

ولدى عودة بويل الى مقر قيادة الجيش الروسي التقى النقيب جورج هيل، وهو عميل سرّي بريطانيّ يتكلم الروسية سبق أن عاش في كندا. فتصادق الرجلان وشهدا معاً ثورة ١٩١٧ التي أتاحت للبولشفيين انتزاع السلطة في بطرسبرج.

وفي العاصمة الروسية أوكلت "اللجنة الثورية" الى بويل مهمة عاجلة هي حل "عقدة موسكو." فقد حُشد نحو ١٠ آلاف مقطورة في باحات تجميع غصَّت بها، مما حال دون دخول القطارات المدينة وخروجها منها محمَّلة أطعمة وإمدادات حربية، فحصلت مجاعة عاناها سكان موسكو وبتروغراد (كما باتت بطرسبرج تسمى آنئذ) والجنود المرابطون في الخطوط الأمامية. إذذاك عمد الآمر العسكريّ البولشفيّ في موسكو الى ايلاء بويل سلطة كاملة على طواقم السكك الحديد في المدينة آمراً جميع عناصرها باطاعته.

اعتمد بويل نهجاً لا يرحم. فأمر بقلب القطارات المحمَّلة بضائع غير أساسية فوق الأرصفة، وإزاحة المقطورات الفارغة عن الخطوط ودحرجتها الى الحقول. وإذ وجد بويل نفسه في محيطه الطبيعي، خلع رداءه الطويل وانخرط في العمل مع عمّال السكك المتصببين عرقاً. وراقبه المترجم الروسيّ مدهوشاً وهو يُطلق الأوامر ويشجع العمال بأغنيات مثيرة من أيام كلونديك. ولم تمضِ ٤٨ ساعة حتى عادت عجلات القطارات الى الدوران.

وانطلاقاً من مركزه الجديد مفوضاً للسكك الحديد، عمد بويل الى إرسال امدادات الى الجيش الروماني المُبتلى الذي كان في أمس الحاجة اليها. وبدأ، مع النقيب هيل، تنظيم شبكة من العملاء السريين تولت أعمال تخريب وجمع معلومات عن النشاطات الالمانية والبولشفية. ونمت هذه الشبكة المدعومة بأموال بريطانية وفرنسية، وظهرت أهميتها في الاشهر اللاحقة.

وابل من نار

ابّان الشغب الذي شهدته بتروغراد في ديسمبر (كانون الاول) وفد سفير رومانيّ مهتاج الى بويل ومعه طلب مروِّع: هل يستطيع استرجاع مجوهرات التاج والاحتياط النقدي ومحفوظات وزارة الخارجية الرومانية ونقلها الى ياشي؟

كانت تلك مهمة من النوع الذي يصعب على بويل وهيل مقاومته.

علم الاثنان أنَّ الذهب ومجوهرات التاج محفوظة بأمان داخل قصر الكرملين في موسكو، وأن البولشفيين لا يعتزمون إعادتها الى أصحابها. كما علما أنَّ المحفوظات والأوراق النقدية مودعة خزائنَ مصرف الدولة. فقصد الرجلان الحاكم العسكري البولشفيّ في موسكو، مورافييف، وطلبا منه ترخيصاً بنقل هذا الكنز، مذكِّرينه بأنه مدين لهما بحلّ "عقدة موسكو." فلم يكن من الحاكم، وقد أعجبته جسارتهما، إلاّ أن منحهما الترخيص المطلوب.

نظم بويل عملية النقل بالسكك الحديد، فيما تولى هيل اخراج الأوراق النقدية من

صناديقها الفولاذية وتوضيبها في سلال من أماليد مجدولة ونقلها في مزالج عبرت الشوارع المكسوة بالثلوج الى مستودع محطة السكك الحديد. وهناك صادر بويل "لأغراض عسكرية" أربع مقطورات صندوقية[٣] بينها اثنتان مليئتان بامدادات طبية، ووصلها بالعربة ٤٥١ المجهزة ببهو خاص ومطبخ وطاه وحجرات وجدران مقاومة للرصاص. ثم عمد الرجلان الى تكديس المال في العربة ٤٥١، والمحفوظات في المقطورات الفارغة، ووصلا العربات الخمس بقطار بطيء للبريد.

وفيما القطار يتحرك منطلقاً قفز اليه مترجم بويل الروسي، النقيب تولستوي، ليحذره من مكيدة تدبر لفصل العربات تلك الليلة لدى بلوغ القطار محطته الأولى. فتسلق بويل وهيل سطح العربة ٤٥١ وقبعا ينتظران في الظلام. ولدى توقف القطار تسلل رجل تحت العربة وفصلها عن القطار.

يذكر هيل: "نزلنا بهدوء الى الأرض وزحفنا كلّ من جانب. وفي الظلام سمعت قبضة الكولونيل تهشم وجه الرجل الذي انطرح أرضاً كلوح خشبي." ثم وصل بويل العربة، فانطلق القطار زاحفاً عبر الأرياف الملتفة بالثلوج.

ولدى وصول القطار الى مدينة بريانسك، كانت المعارك على أشدها بين جنود بولشفيين وجنود أوكرانيين يتنازعون السيطرة على محطة السكك الحديد. واندفع القطار عابراً المحطة بسرعة قصوى وسط وابل من رصاص البنادق والرشاشات. وعندما توقف خارج المدينة تبين أن ٤٠ من ركابه أصيبوا بجروح. وكانت العربة ٤٥١ سالمة وعلى جنباتها آثار رصاص كثير.

وعندما اقترب القطار من حدود بيسارابيا عجب بويل إذ رأى عرباته تُحوَّل الى مسار جانبي. وسرعان ما صعد اليه ضابط بولشفي قال لبويل إنه وصحبه في قيد التوقيف. ولضمان عدم إتيانهم أي حركة، طوّقهم الضابط الروسيّ بسرية مدافع ميدان ووضع مفرزة حرس في غرفة الانتظار.

هبت في تلك الليلة عاصفة عاتية، فأقام بويل في العربة ٤٥١ حفلة غناء صاخبة لابعاد الشبهات عن خطة للهرب. وأرسل الى الحرس ابريقاً من الشاي المنكّه بكمية كبيرة من الشراب الكحولي. وفي غضون ذلك، وجد هيل على المسار الجانبي قاطرة خاصة بتحويل مسار القطارات من خط الى آخر، وكانت دائرة تنفث البخار.

تسلل بويل وهيل الى الخارج، وأمرا طاقم التحويل، بقوة السلاح، بوصل القاطرة الى العربة ٤٥١ والمقطورات الصندوقية. ثم أمر بويل المهندس بتحويل القطار الصغير الى الخط الرئيسي. وبعد عشرين دقيقة ظهرت أنوار حمراء تومض في المدى المظلم أمامهم، ورأوا حواجز خشبية تقام على تقاطع، ورجالا مسلحين واقفين الى

(٣) المقطورة الصندوقية مسقوفة وذات ابواب جانبية منزلقة.

جانب السكة. وللحال غرز بويل مسدسه في ظهر السائق فيما صرخ هيل بالروسية: "اقتحم الحواجز!" وعندما رأى بويل أن الخوف شل الرجل دفعه جانباً، بينما فتح هيل صمام المخنق. فاندفع القطار الصغير مخترقاً الحواجز.

ولم تكن تلك آخر المشاكل، إذ فيما اقترب القطار من الحدود الرومانية لاحت أمامه عقبة ضخمة. فسارع بويل الى ضغط الكوابح ولكن بعد فوات الأوان. انجرف القطار وسط الأبخرة والشرارات وغيوم الأغبرة عبر كومة عملاقة من التراب حيث توقف مترجرجاً. وفيما راح الرجال ينهضون من سقطاتهم انهمر على جنبات القاطرة وابل من الطلقات النارية من مركز للجيش الروماني. فصرخ هيل وهو متكوِّم في قمرة القيادة: "نحن أصدقاء! نحن أصدقاء!" ولم تمضِ لحظات حتى توقف إطلاق النار.

وصل القطار الى ياشي ليلة عيد الميلاد. ووقف بويل يراقب الكنوز التي نقلها عبر ٢٤٠٠ كيلومتر من دون حامية في بلاد خلو من القانون، ينقلها ههنا ٢٥٠ رجلا من شرطة السكك الحديد وقوة من سلاح الفرسان الروماني.

وبعد انقضاء مهمته انصرف الى تمضية ليلة ميلاد هادئة على متن العربة ٤٥١. لقد كانت تلك سنة طويلة قاسية.

"العم جو"

زار رئيس الوزراء الروماني بويل في ياشي وأخبره أنَّ الجنود الروس يفرّون بالألوف ويعيثون في الريف الروماني، ولا بد من تجريدهم من السلاح وإعادتهم الى موطنهم. فهل يستطيع بويل، بما له من علاقات جيدة مع الروس، تعجيل هذه العملية؟

قرر بويل إجراء اتصال مع الدكتور كريستيان راكوفسكي عضو المجلس الأعلى للشؤون الروسية - الرومانية في أوديسا. لكنه حين بلغ تلك المدينة كان القتال اندلع بين رومانيا والبولشفيين، وكان راكوفسكي سجيناً سياسياً سابقاً في رومانيا، فلم يكن في مزاج يسمح بالبحث في وقف إطلاق النار.

بيد أن ذلك لم يردع بويل الذي لم ينفك، طوال خمسة أيام، عن محاولة إقناع راكوفسكي بمساعدته. وأخيراً رضخ هذا لطلبه. وتوصل الاثنان الى وضع مشروع معاهدة تتضمن تبادل أسرى بمن فيهم ٥٠ ضابطاً ووزيراً ومسؤولا رومانياً أودعوا أحد سجون أوديسا و٤٠٠ ثائر بولشفيّ سجنوا في رومانيا.

وعلى الأثر هرع بويل الى ياشي للحصول على توقيع الحكومة الرومانية على معاهدة الهدنة، ووصل اليها قبيل مغادرة بعثات الحلفاء. وكان يحق للمقدَّم الكندي مغادرة البلاد معهم، الا أنه آثر البقاء، إذ ليس من قوة كانت لترغمه على ترك ماري. وفي اليوم التالي، ١٠ مارس (آذار)، عاد الى أوديسا لتنظيم عملية تبادل الأسرى.

وكانت أوديسا في حال من الغليان مع اقتراب دخول الجيش الألماني اليها. وعلم بويل أن الاسرى الخمسين الذين جاء لانقاذهم باتوا رهائن لدى مجموعة بولشفية تدعى "سرية الموت" على متن السفينة "إمبيراتور ترايان."

علم بويل ذلك من ايثل بانتازي، زوجة احدى الرهائن، وهي مواطنة له من هاملتون في أونتاريو (كندا). فركض معها الى رصيف الميناء حيث نادى القائد البولشفي - وهي تترجم له - طالباً إنزال السجناء. فأُنزلوا، وعندما أصبحوا على الرصيف حاول بعضهم الهرب، فأومأ القائد الى رجاله بفتح النار.

وللحال بدأ الحراس يدفعون الرهائن الى السفينة، فهرع بويل الى المعبر الخشبي. نظر الى أعلى فرأى حارسين على متن السفينة يضربان رجلا عجوزاً بأعقاب البنادق. فصرخ منادياً إيثل: "لا يسعني احتمال ذلك. إني ذاهب معهم."

ارتقى بويل المعبر وثباً، وأمسك مهاجمي العجوز ضارباً رأسيهما معاً، ثم رماهما أرضاً والحراس يراقبون مذهولين. بعد ذلك نادى سائر الرهائن للصعود الى السفينة مصراً على الابحار معهم.

وبعد ثلاثة أيام رست السفينة في ميناء ثيودوسيا الروسي على البحر الأسود. وهناك علم بويل أن "سرية الموت" تعدّ لتسيير الرهائن الى سقيفة ذخيرة "تنفجر مصادفة." وبمساعدة من أحد المسؤولين السوفييت في البلدة، نقل بويل السجناء الى سفينة شحن قريبة. ثم رشا القبطان للابحار بهم الى رومانيا، بأموال قدمها نائب القنصل البريطاني.

ولدى عودة بويل الى ياشي ألفى نفسه بطلا قومياً. وأغدقت عليه الصحف لقب "منقذ رومانيا" ومنحه الملك فرديناند "الوسام الأعظم لتاج رومانيا." بيد ان الجائزة الحقيقية بالنسبة اليه كانت لقاءه ماري مجدداً.

لم تقبل ماري، في قرارتها، معاهدة السلام التي أُجبر فرديناند على توقيعها، ولا الحكومة المؤيدة لألمانيا. فاستأذنت زوجها في الاعتزال في مقرها الريفيّ في كوتوفانستي لتمريض الجرحى في مستشفى عسكري قريب. وسرعان ما لحق بها بطلها الكندي. وهناك قضيا فترة وجيزة ملؤها السعادة. كانت ماري تصطحبه في رحلات طويلة على متون الخيل وسط الأرياف المترامية. وكانت هي وأولادها يمضون الأمسيات مستمعين الى أغنيات بويل الايرلندية وقصصه المثيرة عن أيام الهجمة على الذهب، مما أتاح لماري الاطلال على عالم ساحر مجهول. وأحب الاولاد ذلك الكندي الكبير القلب الذي دعوه "العم جو."

في ذلك الربيع تعمقت العلاقة بين ماري وبويل الذي لم يترك مناسبة الا حاول فيها رفع معنويات ماري. وهي دوَّنت في مذكراتها بتاريخ ٢٢ مايو (أيار) ١٩١٨: "كنت على

وشك الخروج لتناول طعام الغداء عندما سمعت هدير محرك، وأصواتاً، ووقع أقدام رجولية ثقيلة على سلمي الخشبيّ الطويل، و... بويل. أوه! كم سرتني رؤياه!" ولطالما تحدث الاثنان عن مستقبل رومانيا، ولطالما طرح بويل أفكاراً عن الاصلاح الاجتماعي. كان مستاء من قدر الفلاحين، فحضّ الملكة على الضغط على فرديناند لتعجيل برنامجه المتعلق بالاصلاح الزراعي ومنح الشعب حق التصويت.

وتجاهل بويل القيود التي فرضتها عليه الحكومة الموالية لألمانيا. وعندما أمر الماريشال الالماني أوغست فون ماكنسن وزيرَ الحرب الروماني بأن يُعلِم بويل بوجوب خلع بزته الكندية "وإلا أمرتُ برميه بالرصاص"، جاء جواب بويل نموذجياً: "قل له أن ليس من ألمانيّ حيّ سيجبرني على خلع بزتي. فأنا أحمل مسدس كولت فردياً، وأعدك بحفر ثقوب في أول الماني يتعرض لي بالأذى، جنرالا كان أم نفراً."

كان هذا التحدي يناغم ما اعتمل في نفس ماري من ثورة. فهي أقامت في يونيو (حزيران) احتفالا لتكريم جنود رومانيا الذين سقطوا في الحرب، على رغم معارضة الحكومة لهذا الاحتفال. وأوردت في مذكراتها: "كان الضابط الأجنبي الوحيد في

القاعة هو المقدَّم بويل الذي دعوته قبل علمي بوجوب إقصاء الحلفاء." أما بويل فبدا فخوراً غير آبه لما راود الآخرين من أفكار حول سبب وجوده هناك.

جاشت عواطف ماري وهي واقفة أمام عرشها في ثياب الاسعاف وبيدها شمعة، وراحت تجيل نظرها في أرجاء القاعة المزينة بأعلام الافواج. وكتبت في مذكراتها لاحقاً: "انبجست الدموع من عينيّ وبكيت. ولكن حين نظرت الى أولئك الرجال الأقوياء الحزيني العيون الصابرين الذين حملوا الاعلام، قلت في نفسي: سوف يحيا هذا الشعب، يجب أن يحيا. ولسوف أعمل لذلك قلباً وروحاً."

"بعض حزن"

تابع بويل خدمة بلد ماري بعدما مُنح لقب "دوق ياشي." فأشرف على إعادة ١٠٠ ألف جندي روسي الى موطنهم بعد تجريدهم من السلاح. كما ذهب في عدة رحلات سرية الى بيسارابيا التي صوَّتت غالبية أهاليها في ابريل (نيسان) للعودة الى الوحدة مع رومانيا. وفي هذه الاثناء استكمل بويل اعداد شبكة استخبارات من ٥٠٠ عميل نفذ بعضهم أعمالا تخريبية في السكك الحديد بهدف انهاك قوات الاحتلال الالمانية والنمسوية والبولشفيين. وجمع آخرون معلومات عسكرية وسياسية نقلها بويل الى الحلفاء. وبفضل شبكته هذه، وبتمويل من الحلفاء، استطاع بويل منع وقوع كميات كبيرة من الذخائر والتجهيزات العسكرية التي تركها الجيش القيصري السابق في بيسارابيا، في أيدي الألمان. وحوَّلها الى "الجيش الأبيض" المناهض للبولشفيين.

عمل بويل سنة وبعض سنة بأقصى طاقته. وفي ١٨ يونيو (حزيران) ١٩١٨ بعد رحلة استطلاعية جواً الى كيشينيف عاصمة بيسارابيا، انهار على أثر سكتة دماغية (فالج) ونُقل الى مستشفى محلي حيث تمدد عاجزاً وقد شُلَّ نصفه الأيمن وتعثَّر نطقه.

صعقت ماري لدى سماعها النبأ. وقالت لاحقاً: "أحسست قلبي يموت داخلي. بويل! صديقي الكبير القوي الذي لا يُقهر!"

ولما تحسنت حال بويل قليلا راح يصارع إعاقته مستمداً قوة من مخزون طاقته. وذكر مترجم شاب يدعى بول شفشفادزي أنه "كان يمضي ساعات أمام مرآة يدوية وهو يقوِّم بأصابعه الجانب المصاب في وجهه حتى عاد الى طبيعته. ثم طلب مرآة طويلة راح يقف أمامها كل صباح ويمرن ذراعه وساقه الكسيحتين مجبراً اياهما على أداء حركتهما الطبيعية. ويوم استطاع حلق ذقنه ممسكاً الموسى بيد ثابتة، تهلل فرحاً."

دعت ماري صديقها بويل الى قضاء فترة نقاهة في المقر الملكي الصيفي في بيكاز الواقعة في أعالي جبال الكاربات. ولما وصل الى هناك في ١ أغسطس (آب) بدا "كما

كان تقريباً، ومع ذلك لم يكن هو تماماً. كانت أحكامه واضحة وحججه دقيقة كما عهدتها ومواقفه متسمة بطابع المشاكسة اياه، لكن شيئاً ما غادره، شيئاً من ذلك الايمان الرائع بقوته. كما انسلّ بعض حزن الى كيانه."

عكفت ماري على زيارة بويل مرتين يومياً، تحادثه وتتناول معه طعام العشاء. وسرعان ما استرد ثقته بنفسه. ومع حلول الخريف واقتراب الحرب من نهايتها، عاد بويل الى ادارة شبكة الاستخبارات.

وعلى أثر توقيع الهدنة في ١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٨ عاد الملك فرديناند والملكة ماري الى بوخارست مع جنودهم في موكب نصر مهيب تهادى في الشوارع المزينة بالأعلام وسط الجموع الهاتفة. لكنه كان نصراً فارغاً إذ كان جنود الاحتلال نهبوا المدينة والأرياف وشحنوا الى المانيا ما يزيد على مليوني طن من القمح ومليون طن من النفط و٩٠٠ قاطرة. ومع اقتراب فصل الشتاء واجهت رومانيا خطر مجاعة.

لم يألُ بويل جهداً في تنظيم أعمال الاغاثة. وفي ديسمبر (كانون الأول) يمم شطر بريطانيا مصطحباً الأمير نقولا لدخول مدرسة إتون. ولدى وصوله الى باريس زار صديقه هربرت هوفر، رئيس مجلس الأغذية التابع للحلفاء، وأقنعه بارسال ثلاث بواخر محملة امدادات اغاثة الى رومانيا بأقصى سرعة ممكنة.

وفي لندن أخذ بويل الأمير نقولا الى قصر باكنغهام لمقابلة نسيبه الملك جورج الخامس. وكتب العاهل البريطاني رسالة الى ماري جاء فيها عن بويل: "إنه رجل رائع، كأنه لا يعرف الخوف."

وفي مارس (آذار) وصلت ماري الى لندن لدعم قضية الاغاثة، وفي جعبتها قائمة طلبات عملية تضمنت ٢٤٠٠ عربة محملة بذور قمح، وتحديداً قمح مانيتوبا، وتشكيلة واسعة من الآلات الزراعية. وهي أوضحت أن الثورات تنبع من بطون جائعة.

مكثت ماري في قصر باكنغهام حيث أقامت حفلات فطور باكرة لأقطاب المال والسياسة والجيش وكل من قد يساعد في دعم قضية رومانيا. وهي خطة أعجبت ابن عمها، غير أن دهاءها السياسي الفاعل وتوددها الى الصحافة وخروجها على المألوف أمور فاجأت الملك البريطاني الذي اعتاد في بلاطه قواعد تشريفات صارمة.

ولدى عودة ماري الى بوخارست حضّت بويل على الرجوع لمساعدتها في معالجة المعضلات السياسية والاقتصادية المتنامية. فوصل الى رومانيا في يونيو (حزيران) ١٩١٩ ممثلا للبعثة التجارية الكندية وللصليب الأحمر الكندي.

لم يتصل بويل وهو في بريطانيا بشركة التعدين التي يملك معظم أسهمها والتي باتت متورطة في مشاكل قانونية. فهو كان في الماضي يحب خوض المعارك القانونية، لكنه غدا كأنه قرر صرف النظر عن حقول ذهب كلونديك الى الأبد. وهو كتب رسائل

الى والديه في وودستوك، إلا أنه لم يكتب الى زوجته، وذلك يخالف طبيعته النبيلة. فهو كان متورطاً في الأحداث المثيرة التي عمت أوروبا ما بعد الحرب، وصارفاً اهتمامه الى الذهب الأسود: النفط.

وقبيل عودته الى بوخارست طلبت منه مجموعة "رويال داتش/شل" التفاوض مع المسؤولين الرومانيين على مشتريات نفطية كبرى من حقول بلويستي الغنية. فراقته العملية لما تعد به من توفير نقد صعب لازم لاسترداد الاقتصاد الروماني عافيته.

ولكن بحلول العام ١٩٢٠ كان بويل جلب على نفسه عداوة كثيرين في الاوساط السياسية الرومانية، امتعضوا من أفكاره وغاروا من نفوذه لدى العائلة المالكة. وانتشرت أقاويل عن سمعته واتهامات باطلة عن جنيه أرباحاً طائلة من صفقات النفط. وفجأة غدا "منقذ رومانيا" متطفلا أجنبياً انتهازياً.

وتطور الوضع الى أزمة، ولم يبقَ مفر من رحيل بويل، وتُرك أمر ابلاغ هذا القرار الأليم الى ماري التي كتبت لاحقاً: "بعدما صنعوا منه بطلا، تحاملوا عليه محاولين تلطيخ شرفه. حاربتهم بقوة، لكني، في النهاية، اضطررت الى الاستسلام."

صعق الخبر بويل. وهو قبل القرار بلباقة، اذ كانت كبرياؤه تربأ عن الرد وشهامته تستنكف التسبب لماري في مزيد من الاحراج.

وبعد مغادرته رومانيا في صيف ١٩٢٠ واصل وماري تبادل الرسائل. وهي كتبت اليه رسائل طويلة حافلة بالهذر واللغو عنها وعن أولادها. وتابع هو أداء خدمات صغيرة للعائلة المالكة. وبعد مضي سنة كتب الى ماري: "لا تجعليني ظلا يخيم على حياتك، فلستِ مدينة لي بشيء. أنتِ من كانت دائمة العطاء. وأنا شاكر لك، ولك محبتي. تذكري هذا فقط."

قطار شارد

لم يستكن بويل طويلا. فعلى رغم تأميم السوفييت حقول نفطهم، وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة الى تكنولوجيا وأموال رأسمالية لتشغيل هذه الحقول. ودعا لينين الغرب الى تقديم عروض أسعار لابرام عقود نفطية. وطلبت مجموعة "شل" في بريطانيا من بويل التفاوض نيابة عنها.

بدا بويل منقبضاً عندما ركب القطار ربيع ١٩٢٢ مع صديقه القديم جورج هيل في رحلة مرهقة امتدت مسافة ٩٦٠ كيلومتراً عبر جبال القوقاز، انطلاقاً من تيفليس ووصولا الى حقول النفط في باتوم. وكان القطار مثقلا بالحمولة ومعداته منهكة بفعل الحرب. وكانت خلف عربة بويل حافلة تقل عدداً من كبار المسؤولين السوفييت. ولاحظ هيل أن عدد الحراس كان مضاعفاً.

ارتقى القطار قمة أحد المسالك، ودخل نفق "سورام" الطويل، وتابع نزولا بزاوية شديدة الانحدار. وما هي الا لحظات حتى زعقت صفارات الانذار الموزعة على مسافات داخل النفق، منبهة مهندس القطار الى ضرورة ضغط الكوابح.

جلس هيل على سريره وصفارات الانذار تدوِّي في أذنيه، اذ شعر بأن القطار يزداد اندفاعاً بدلا من أن يتباطأ. ثم راحت الحافلة تترجح ودوت صفارة المحرك فيما اندفع القطار بسرعة خاطفة داخل النفق. لقد أفلت زمامه!

ولم تمضِ لحظات حتى خرج القطار الى النور متخبطاً مهتزاً. واخترق احدى المحطات وصفارة محركه تدوي بجنون، ثم هبط في منحدر "أمان" نحو وهدة ضيقة ثُبتت في نهايتها صادّات مقواة لتخفيف الصدمات.

خرج بويل وهيل عبر نافذة محطمة ليجدا في الوهدة محركاً محطماً وثلاث عربات مهشمة. وعلا صراخ الركاب المحتجزين في العربات، فنزل الرجلان الى الوهدة لمساعدة الناجين.

وخلص أحد التحقيقات لاحقاً الى أن ثمة من تلاعب بالكوابح في المحطة السابقة، قبل نفق سورام، في عمل تخريبي استهدف اغتيال المسؤولين السوفييت الذين نجوا جميعاً.

امتقع وجه بويل على نحو مروع، لكنه بدا كأنه لم يصب الا برضوض بالغة. وتابع وهيل رحلتهما الى باتوم براً، والى القسطنطينية بحراً. ثم ضاق تنفسه وتورمت ساقاه حتى اضطر الى شق سرواله.

استدعى بويل طبيباً في القسطنطينية، فأشار عليه بضرورة استشارة اختصاصي بالقلب. ولتخفيف ألمه، حزَّ الطبيب في ظهره شقوقاً متقاطعة وضع فوقها أكواباً زجاجية ساخنة التصقت بجلده كعلق وراحت تسحب الدم. وفي اليوم التالي تقلص الورم. ولما عاد بويل الى لندن استشار طبيب قلب، فنصحه بأن يرتب شؤونه ويخلد الى الراحة في احدى دور العناية.

وفي فبراير (شباط) ١٩٢٣ انتقل بويل الى العيش في بيت صديق قديم من أيام كلوندايك يدعى تيدي بردنبرغ، في هامتون هيل قرب لندن. وهو لم يعد رجلا غنياً اذ أنفق معظم ثروته في رومانيا ولم يتلقَّ أي أجر من الجيش. وكان، الى ذلك، متورطاً في نزاع قانوني مع شركة "شل" حول أجوره. وتدهورت صحته وتقلص جسمه العريض وتهدلت ثيابه على جسده المنكمش.

حافظ بويل، ظاهرياً، على تفاؤله المعهود. لكنه، في قرارته، بات رجلا متوحداً. كان يحدوه الشوق الى ماري وبلادها، بيد أن كبرياءه استنكفت أن تراه ماري في مثل هذه الحال من الضعف والوهن. وهو كتب اليها رداً على دعوتها اياه لزيارة رومانيا: "أود أن

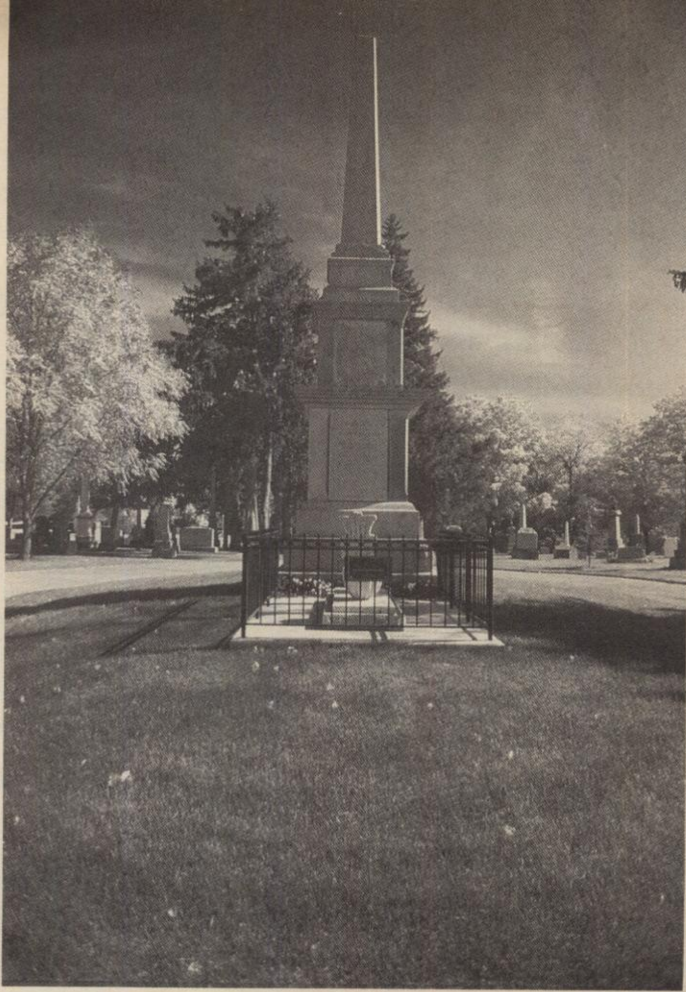

ضريح جو بويل في وودستوك، أونتاريو.

تتذكري الرجل الذي كنته. فأنا لم أعد جو بويل الذي تعرفين."

ومثل محارب قديم يتحسس أزوف ساعته، كتب بويل في ١٣ أبريل (نيسان) رسالتين وضعهما تحت وسادته. وعندما انبلج صبح اليوم التالي صافياً مشمساً قال: "أود النهوض،" ثم رفع رأسه وجلس على الفراش. وعندما التفتت ممرضته الواقفة قرب النافذة رأته يسقط على وسادته.

لقد مات جوزف بويل الشجاع وهو في السادسة والخمسين من عمره.

PHOTO: TED TOWN

تولى تيدي بردنبرغ أمر الرسالتين. كانت الأولى موجهة اليه وفيها شكر لرفقته وطلب لمراسم دفن بسيطة، والثانية كلمة وداع الى ماري.

كتب مترجم بويل ديمتري زفيغنتزوف رسالة الى ماري روى فيها تفاصيل أيام بويل الأخيرة. وبعد ستة أسابيع تلقى من ماري رسالة طويلة جاء في احدى فقراتها: "ما زال بويل حياً في نظري. أراه في الاشجار والسماء والبحر والشمس واندفاع الريح حول منزلي."

وفي أغسطس (آب) زارت ماري قبر بويل في باحة صغيرة خلف منزل بردنبرغ، فلم يعجبها. فأبلغت الى بردنبرغ أنه سيتلقى قريباً بضع صناديق كبيرة. وبعيد وصول الصناديق جاءت هي للاشراف على وضع بلاطة صوّان فوق القبر نُقش عليها شعار "وسام ماريا ريجينا" وسطران اقتبستهما الملكة من قصيدة للكاتب والشاعر الكندي روبرت سرفيس كان بويل يحبها كثيراً:

رجل له قلب فايكنغ[٤]

وبساطة إيمان طفل.

لم تنسَ ماري بطلها الكندي، وظلت تزور ضريحه كلما زارت بريطانيا. وهي نشرت سيرتها الذاتية قبل سنوات من وفاتها في يوليو (تموز) ١٩٣٨، وضمَّنتها مقطعاً مؤثراً عن تلك الايام الكالحة من مارس (آذار) ١٩١٨ عندما أقسم بويل أن يقف الى جانبها. وقد اختصرت حياة بويل في أربع كلمات معبرة: "رجل إن قال فعل."[٥]

(في أوائل الثمانينات رفعت مجموعة من المواطنين في وودستوك التماساً إلى السلطات لاعادة رفات بويل الى وطنه كندا. وفي ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أقيم لبويل مأتم عسكري ووُوري رفاته في مقبرة في المدينة التي أمضى فيها أيام صباه.)

(٤) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء اوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.
(٥) Ein Mann, ein Wort

تشارلز و. سميث ■

ترجمة فريد شديد

ACKNOWLEDGMENTS: «JOE BOYLE, KING OF THE KLONDIKE,» BY WILLIAM RODNEY, COPYRIGHT © 1974 BY McGRAW-HILL RYERSON LTD.; «THE SOURDOUGH AND THE QUEEN,» COPYRIGHT © 1983 BY LEONARD W. TAYLOR, STODDART PUBLISHING CO. LIMITED. USED BY PERMISSION; «WHO WAS JOE BOYLE?» BY FLORA ALEXANDER BOYLE, MACLEAN'S (JUNE 1, 15 AND JULY 1.'38); © 1938 BY MACLEAN HUNTER LTD.; «THE STORY OF MY LIFE,» COPYRIGHT © 1934 BY CHARLES SCRIBNER'S SONS, COPYRIGHT RENEWED © 1962 BY HER ROYAL HIGHNESS PRINCESS ILEANA. USED BY PERMISSION; «ORDEAL, THE STORY OF MY LIFE,» COPYRIGHT © 1935 BY CHARLES SCRIBNER'S SONS, COPYRIGHT RENEWED © 1963 BY HER ROYAL HIGHNESS PRINCESS ILEANA. USED BY PERMISSION; «THE LAST ROMANTIC,» COPYRIGHT © 1984 BY HANNAH PAKULA, TOUCHSTONE / SIMON & SCHUSTER, INC.; «GO SPY THE LAND: BEING THE ADVENTURES OF I.K.8 OF THE BRITISH SECRET SERVICE» AND «DREADED HOUR,» BY CAPT. GEORGE A. HILL, D.S.O., 1932 AND 1936 BY CASSELL AND COMPANY, LTD.; «ROUMANIA IN LIGHT AND SHADOW.» BY ETHEL GREENING PANTAZZI, COPYRIGHT © BY McGRAW-HILL LTD. USED BY PERMISSION.

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

THE NATIONAL MUSEUM OF WOMEN IN THE ARTS, WASHINGTON, D.C. GIFT OF WALLACE AND WILHEMINA HOLLADAY.

امام الدعوة
للكتاب المستعمل
طريق الامير عبدالله ٤٧٠٧٦١٢
١١١

"فطور العصافير" - زيتية للفنانة الالمانية غبرييل مونتر